ماذا بقي من ناظم الغزالي؟

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

ملحق اسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

العدد (2414) السنة التاسعة

الاثنين (5) اذار 2012

10

ابن قيصر روسيا في بغداد

شذرات من تاريخ مقاهي بغداد في العهد العثماني

زين النقشبندي

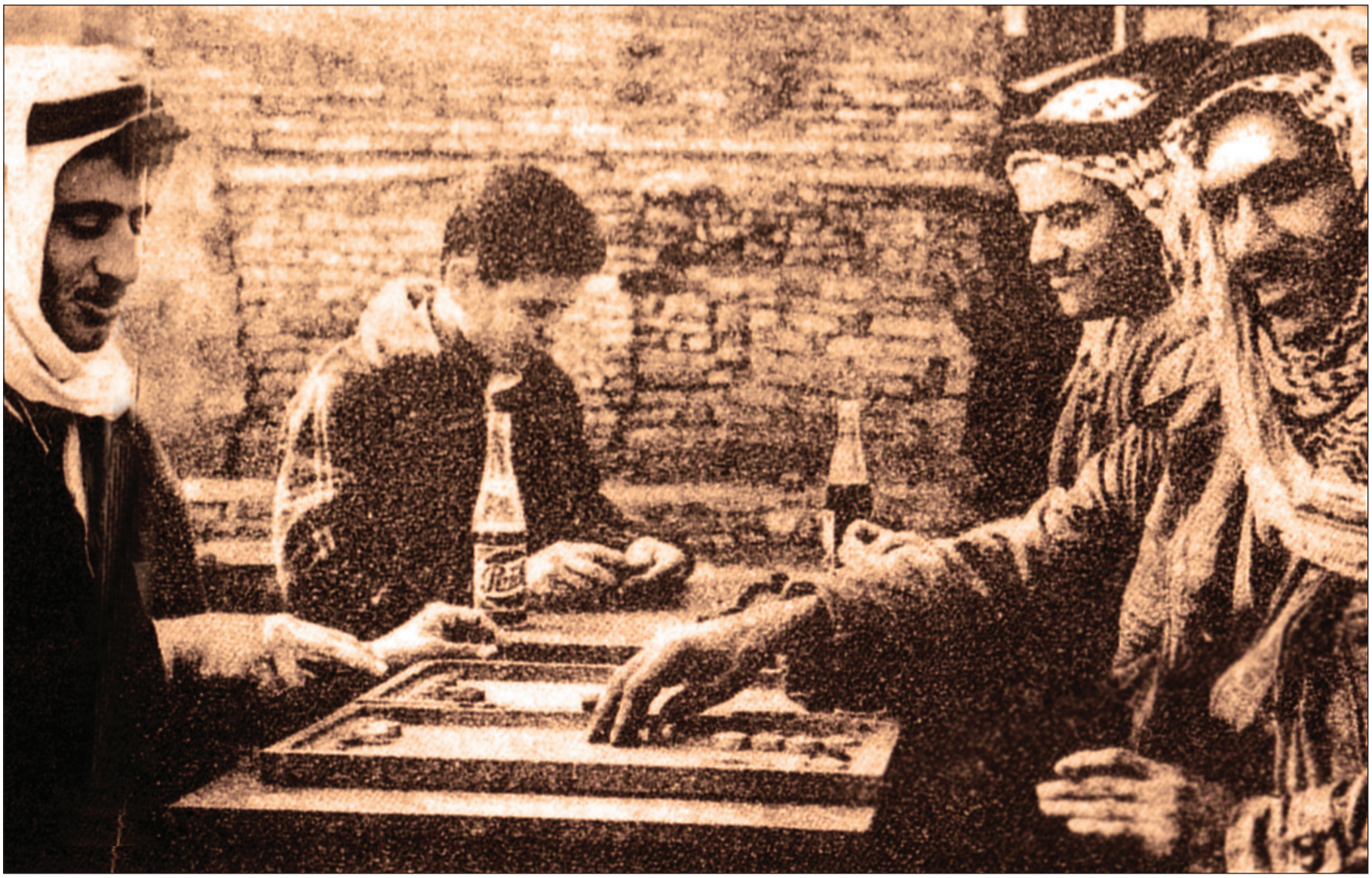

عرفت بغداد المقاهي في العهد العثماني ، إذ كان في كل محلة من محلات بغداد مقهى واحد على الأقل أو اكثر حسب عدد سكانها ، وان اقدم الإشارات التي وصلتنا ما ذكره مرتضى نظمي زاده عن اسم اقدم مقهى في بغداد كان قائماً حتى مطلع القرن الحالي يعود إلى سنة ٩٩٩هـ / ١٥٩٠م اذ شيد جغالزادة سنان باشا الذي كان والياً على بغداد خاناً (يقع محل الخان جنوب المدرسة المستنصرية، وهو يحاذي سوق الخفافين وسميه ايضاً سوق الصاغة لانه كان مجمع الصياغ) ، ويذكر الحاج هاشم الرجب في لقاء معه ان هذا الخان ازيل سنة ١٩٢٩ الا دكانين او اكثر باقية منه وشبابيك في الطابق الثاني الى الان، وقد بني الخان مجدد واتخذت منه اسواق لبيع الاقمشة، ومقهى مجاوراً له وسوقاً شهيرة وهذا اول مقهى ذكر بناؤه في بغداد ، وقد أصبح هذا المقهى مجمعاً للعلماء والأدباء كما يذكر نظمي زاده في كتابه (كلشن خلفا) ، وكانوا يقضون فيها أوقاتهم ، وخان جغالة زاده هو نفسه خان اجغان، اما مقهى جغالزادة فقد اصبح خان سمي خان الكمرك وقد ازيلت هذة المقى في الستينات ويذكر الحاج هاشم الرجب ان مكانها الان الساحه التي بين المدرسة المستنصرية والمحلات التي في جنوبها وقد كان على بناية هذا المقهى ابيات من الشعر نقلت الى مديرية الاثار ، وثاني مقهى أنشئ في بغداد هي مقهى حسن باشا الواقع بالقرب من جامع الوزير سنة ١٦٠١م ويذكر عزيز الحجية إن ارض هذه المقهى أمسى اليوم في شارع المأمون عند رحبة الجسر من الجهة الشرقية .

وقد عرفت واشتهرت بغداد في تلك الفترة بمنتدياتها ومجالسها العلمية والأدبية ، ومن الإشارات التي وصلتنا عن مقاهي بغداد ما ورد في رحلة تكسيرا (١٦٠٤م) الذي أورد وصفاً للمقاهي المطلة على دجلة في جانبي الكرخ والرصافة ، وهي موزعة في عدة أماكن ببغداد للراحة والتسلية، ويذكر أيضا إن أصحاب المقاهي كانوا يستخدمون الموسيقى لاجتذاب الزبائن ، وان الذين يرتادون هذه المقاهي كان عددهم يزداد في ليالي الصيف ونهارات الشتاء، كذلك ورد في تقرير جيمس فيلكس جونس ١٨٥٣م حول بغداد ذكر أسماء المقاهي والعاملين فيها و أجورهم وأصنافهم ، وبلغ عدد مقاهي بغداد سنة ١٣٠١هـ / ١٨٨٢م (١٨٤) مقهى كما ورد في سالنامة، ولاية بغداد ، ووصل العدد سنة ١٣٢٢هـ / ١٩٠٣م إلى (٢٣٥) مقهى كما ورد في سالنامة ولاية بغداد الصادرة في تلك السنة ، وقد بلغ عدد المقاهي في

من مقاهي العهد العثماني

سنة ١٩٣٤م(٥٩٩) مقهى كما ورد في جريدة العراق البغدادية الصادرة في ١٠ آب ١٩٣٤م ، وكان في كل محلة من محلات بغداد مقهى خاص بأهل هذه المحلة وقلما يجلس في هذه المقهى أناس من أبناء المحلات الأخرى وكان اغلب أصحاب هذه المقاهي لهم معرفة بالناس من ساكني تلك المحلات ، وقد عرف واشتهر في بغداد بنهاية القرن الماضي وبداية القرن الحالي عدد من المقاهي ويذكر الشيخ جلال الحنفي في كتاب الصناعات والحرف البغدادية بصدد ذلك (إن (الكَهوجيه) جمع (كَهوجي) وهو من يكون صاحب كَهوة – أي مقهى – وهي عبارة عن ناد تصف فيه التخوت التي تعد للجلاس ويكون في المقهى اوجاغ لصنع القهوة والجاي والحامض ، فإذا جلس الجليس على التخت جاءه الساقي وهو المسؤول عن (الجاي) فسأله عما يرغب في شربه من الأشربه الساخنة والمرطبة كأنواع النامْليتات و الشَرابتْ ،ويدور صاحب المقهى على الجلاس بين فترة وأخرى وبيده جَوزة القهوة يسقيهم بالفناجين رشفات قليلة ، ولجليس المقهى ان يمكث جالساً ما يشاء من الوقت حتى إذا قام ليغادر المقهى دفع لصاحب المقهى "كَهاويَه" أي أجور المقهى ،ويجلس صاحَب المقهى ويقال له الكَهوجي كما يقال له "أبو الكَهوة" في مدخل المقهى وبين يديه كيس نقوده وهو يكثر من تنبيه الصنّاع الى واجباتهم ويكثر من استحثاثهم على خدمة الزبائن،ويحتفظ صاحب المقهى بعدد من النوارْكيل (جمع نركيلة) التي يقوم صانع خاص عنده بإعدادها لمن يتعاطى تدخين النواركيل ، وكذلك يعد للناس مجموعة من أدوات اللعب واللهو من نِحو الطاوْلي والدومْنَه، وعند ظهور الفنْغْراف ومما توصلنا اليه من خلال البحث ان اول من ادخل الى العراق الفنغراف او (الحاكي) هو السيد طالب النقيب الشخصية البصرية المعروفة في بداية القرن الماضي،وهنالك حكاية طريفة عن هذة الحادثة رواها الحاج ستانتون وليامسون هوب في مذكرتة ملخصها (ان العربان في الزبير عندما سمعوا صوته يخرج من الحاكي فزعوا وهربوا من الخيمة التي كانوا جاليسين فيها وسالوا الحاج وليامسون ،كيف استطاع ادخال الشياطين الى هذا الصندوق الصغير، لانهم كانوا يعتقدون ان الصوت يخرجه الشياطين الذين في داخل الصندوق ،وللمزيد راجع هذا المذكرات) .

وكان بعض أصحاب المقاهي يضعون جهاز الفنغراف في مكان من المقهى ومعه عدد من الاسطوانات حيث يقوم عامل خاص بإشغال الفنغراف و إسماع الجلاس بعض الاسطوانات المحتوية على الأغاني والمقامات العراقية ،وعندما ظهر التلفزيون في أيامنا هذه أصبح من الحاجات التي ينبغي تزويد المقاهي بها ،ومن القديم عرف في المقاهي اجتماع المغنين و أصحاب الآلات الموسيقية وقيامهم بالغناء والعزف ، والى وقت قريب كان قراء المقام العراقي من أمثال رشيد القندرجي يغنون في بعض المقاهي على الجالغي البغدادي ولاسيما في ليالي رمضان ،وطريقة تخدير الشاي في المقاهي وتوزيعه على الجلاس هو أن توضع كمية من الجاي اليابس في القوري ويصب عليه الماء الساخن من سماورات خاصة فيمكث القوري قريباً من جمر الفحم فاذا مر عليه وقت فاسود وخدر صبوا منه في الإستكانات وقدموه لشاربه ، ويلبث القوري على النار يشربون منه حتى ينفذ ،ويقال للجاي "سَكَيْن" إذا كان قاتم اللون ، وكذلك يقال له "طَوخْ" أيضاً وفي اوساط المقاهي تشيع الفاظ وومصطلحات خاصة، ومنها لفظة (الوير) ومعناها أن يدفع أحد الجلاس أجور المقهى عن آخرين ، وذلك بان ينادي على صاحب المقهى عند جلبه الشاي إلى شخص ما ، قائلاً "وَيرْ" كناية عن إن ذلك الشخص سيدفعه هو عنه ، وهنا يرد عليه صاحب المقهى قائلاً (جبا)، ولفظة وير كلمة بمعنى أعط ،وأما لفظة (جبا) فقد عرف استعمالها قديماً ،أما الجايْخاناتْ فهي مقاهي صغيرة ولكنها لا تدار فيها القهوة ، و إنما يكتفي فيها بتوزيع الجاي على الجلاس ،وكثير من الجايجية يتخذون لهم أماكن في رؤوس الأزقة ، وبعض جوانب الأسواق ، وعلى مقربة من الدوائر الحكومية، وهنالك من يتعطى صنع الجاي وبيعه في المدارس والدوائر وغيرها ، كما إن بعض الجايجية كانوا يحملون معهم صندوقاً من التنك يكون في داخله الفحم ، وقد صُفّتْ عليه قواري الجاي ، وتكون فيه رفوف خاصة ، وحيثما شاء الجايجي وضع صندوقه على الأرض وبدأ يصب الجاي في الإستكانات لمن يشاء من شاربيه،

وقد كنا قد قمنا بكتابة دراسة موسعة شملت هذة الدراسة اشهر مقاهي بغداد القديمة التي كانت مازلت قائمة ، مع دراسة موسعة خاصة عن اقدم مقهى مازال لحد الان موجود وهو مقهى الشابندر الذي يقع في شارع المتنبي (الاكمكخانه سابقا) في ركن شارع المتنبي ، قبالة مدخل سوق السراي من جهة القشلة والمحاكم المدنية (كان يشغل هذه البناية سابقا معهد صدام العالي لدراسة علوم القرآن والسيرة) في محلة جديد حسن باشا ،وقد كان محل هذا المقهى في بداية هذا القرن (١٩٠٧م) مطبعة قام بتأسيسها أحد التجار البغداديين المعروفين بالثراء الواسع والجاه العريض وهو الحاج محمود جلبي الشابندر ابن الحاج محمد سعيد إبراهيم الشابندر. وقد شيد هذا المقهى في موقع مطبعة الشابندر وهي اول مطبعة عربية- تركية (عثمانية) انشات في اواخر العهد العثماني ، وفي الطابق العلوي من المبنى تقع مكاتب جريدتي (الكرخ) و(حبزبوز) في الثلاثينات.

وقد صدرت هذه الدراسة الموسعة عام ٢٠٠١ في كتاب صدر ضمن اصدارات جامعة بغداد / مركز احياء التراث العلمي العربي ، تحت عنوان (تاريخ مقاهي بغداد القديمة مع دراسة خاصة عن مقهى الشابندر)

ويعتبر هذا المقهى الذي يعود الفضل في المحافظة عليه لحد الان الى الباحث والقارئ الحاج محمد الخشالي (ابو الشهداء) الذي صمد في ووجه الكثير من التهديدات والاغراءات المالية التي كانت ارقاما خيالية على الرغم من ان ايراد المقهي قليل لايسد في اكثر الاحيان اجور العمال مما يضطر صاحبها الى الصرف عليها ولولا حب بغداد وكل ما يتعلق بها والغيرة البغدادية التي اتصف بها هذا البغدادي الاصيل الحاج الخشالي وما تحمل و صبر عليه في سبيل هذا الصرح الثقافي الذي هو بحق نموذجاً لمقاهي بغداد القديمة التي مازلت موجودة لحد الان والتي يحق لكل بغدادي ان يفخر بها .

وقد كنا قد اجرينا معه لقاء مهم عن ذكرياته عن تاريخ المقهى وروادة ومنطقة القشلة والسري مركز بغداد المحيطة بها ، انشاء الله سوف نقوم بنشره في وقت لاحق لاهمية ما تضمنه من معلومات تاريخية وتراثية

عندما كتب كامل الجادرجي

عن انقلاب عارف عبد الرزاق الفاشل

سنة 1966

ما هو رأيكم في محاولة الانقلاب التي جرت في ٣٠ حزيران الماضي وما هي اسبابها في رأيكم؟

لقد اطلقت نعوت كثيرة على محاولة الانقلاب المذكورة فقد وصف الانقلاب بانه طائش وارعن وما الى ذلك من النعوت التي تدل على المقت والاستنكار، الا ان ما يجب ان تعرفه قبل اطلاق مثل هذه النعوت، هو ان محاولة الانقلاب كانت حصيلة تفكير الكثير من المغامرين الذين لا يرون وسيلة لتغيير الحكم الذي لا يرتضونه الا وسيلة الانقلاب المسلح، فهو في نظرهم الوسيلة الوحيدة للوصول الى الحكم، وبقدر ما تتسع هذه الفكرة وتترسخ لدى الوصوليين – ولدى غير الوصوليين ايضا – فان الانقلابات العسكرية تصبح محتملة الوقوع ويتكرر وقوعها كلما استمر الوضع العام على شذوذه، وكلما ظل بعيدا عن الحكم الديمقراطي الصحيح.

والانقلاب الاخير بالرغم من سعة تشكيلاته وتخطيطاته – كما تبين بعد فشله – وبالرغم من اهمية السند الذي استند اليه – كما هو معروف – كان نصيب الفشل فيه منذ البداية اكثر من نصيب النجاح، ذلك لان الناس ضاقوا ذرعا بكل انواع الحكم العسكري المغامر، فلم يستجب له خارج دائرة الانقلاب الا نفر ضئيل من الجيش، اما الرأي العام فلم يكترث له على الاطلاق.

– هل تعتقدون بان الانقلابات العسكرية لم يعد لها سبيل النجاح في العراق؟

لايمكن ان يبحث الامر بهذا الشكل من البساطة، فالذي لا شك فيه هو ان الناس لم يعودوا يثقون باي نوع من الانقلابات العسكرية لتغيير الحكم، بالرغم من رغبتهم الشديدة في تغييره فالمواعيد الكثيرة التي قطعت لم تتحقق ، ما عدا التطور المفاجئ الذي حصل في القضية الكردية بوقف اطلاق النار، وهي من دون شك عمل مبرور – وان كنا نعتقد بان الرغبة الملحة او بالاحرى الضغط الذي جرى في ضرورة تحسين العلاقات مع ايران، في هذا الظرف بالذات، قد لعب دورا رئيسيا في تلك الخطوة الحسنة.

اما بقية الاوضاع غير الطبيعية في البلاد، فقد استمرت بسببها الحالة الاقتصادية السيئة وما الى ذلك من الامور المستعصية والتي كان قد استبشر بامكان حلها بعض الذين يهتمون بسماع ندوات التلفزيون الخاصة، حتى هؤلاء المتقاتلين – بحسن نية طبعا – اصبحوا لايرون سبيلا للتغيير غير الانتقال السريح الى الموضع الدستوري وتحقيق الديمقراطية القائمة على وجود الحريات العامة والتنظيمات السياسية والانتخابات الحرة، بحيث تنبثق عن ذلك حكومة مسؤولة تجاه الشعب فتسير الامور سيرا طبيعيا دون رجات ودون هزات.

ان ما كان لدى الناس من رغبة ملحة لتغيير الحكم الملكي البائد على الاسس المذكورة ادى الى قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ – والتي كانت بحق ثورة لا انقلابا عسكريا كما اراد البعض ان ينعتها للتقليل من شانها – وقد كان المفروض ان تحقق تلك الثورة تحرير العراق وتقدمه وتمكين الشعب من حكم نفسه بنفسه، إلا ان ما اعقب الثورة كان مع الاسف تحقيق جوانب معينة من اهدافها وعدم تحقيق الجوانب الاخرى.

فالثورة في الواقع، وان كانت قد حققت مكاسب كبيرة، الا انها لم تحقق الانتقال بالبلاد الى الوضع الديمقراطي المنشود لقد حدثت اختلاطات وملابسات تعود الى عوامل داخلية وخارجية، مما ادى الى سلسلة من الانقلابات العسكرية ومحاولات الانقلاب الفاشلة، رافقت بعضها مآسي وفظائع كبيرة، مما اوجد حالة من القلق الشديد وعدم الاستقرار وتناوب العهود العسكرية والانقلابات.

فالاستنتاج الذي يجب ان نستخلصه اذن من فشل محاولة الانقلاب الاخيرة، ليس التنبؤ بما يحدث لمحاولات الانقلاب في المستقبل، وانما يجب ان يكون – ذلك الاستنتاج – ان الرأي العام العراقي قد اصبح الان راغبا اكثر من اي وقت مضى في تحقيق الانتقال الى الوضع الديمقراطي الطبيعي عن غير طريق الانقلابات، وان المسؤولين ان يعكسوا هذا الرأي العام على حقيقته، بدلا من الاصرار على مناهضة الحزبية والاحزاب، وبدلا من التمسك بنظرية الحزب الواحد الخائطة المتمثلة في الاتحاد الاشتراكي كما اشار الى ذلك رئيس الوزراء في مؤتمره الصحفي الاخير، ان على المسؤولين ان يعترفوا بواقع العراق السياسي والاجتماعي والاقتصادي على حقيقته، وبان احتكار الحكم من قبل فئة معينة لن يؤدي الى الاستقرار ولن ينهي احتمالات المغامرة والطيش مهما كان نصيب تلك الاجتماعات من نجاح او فشل.

ان عدم اخذ العبرة مما وقع حتى الان والاصرار على هذا الطريق الخاطئ سوف يعرض البلاد الى جانب احتمالات المغامرة الخطرة، الى مخاطر اخرى في مقدمتها استغلال فشل مثل هذه الانقلابات للهجوم على مكاسب ثورة تموز، ولتسرب المقاومين لتلك الثورة الى مراكز السلطة والاتجاه بالسياسة العراقية وجهة مناهضة لمبادئ الحياد الايجابي ومكافحة الاستعمار ومناهضة الاتحاد العربي الذي كنا ولا نزال ندعو اليه.

وفي مقدمة تلك الاخطار ايضا، استغلال مثل هذا الوضع غير المستقر والمتضعضع ماليا، من قبل الشركات الاحتكارية التي تتحين الفرص لتستغل نقاط ضعفه ونحصل منه على امتيازات مجحفة بحقوق البلاد، كما هو شائع عن الدور الذي نلعبه شركات النفط.

عن كتاب تاريخ الوزارات العراقية في العهد الجمهوري للدكتور جعفر عباس حميدي الجزء التاسع

فيضان بغداد سنة 1954

قزاز يرفض إخلاء بغداد.. وجبر يقول: أهالي الكرخ قادرون على مساعدة اهالي الرصافة

فخري الفخري
امين العاصمة في الخمسينيات

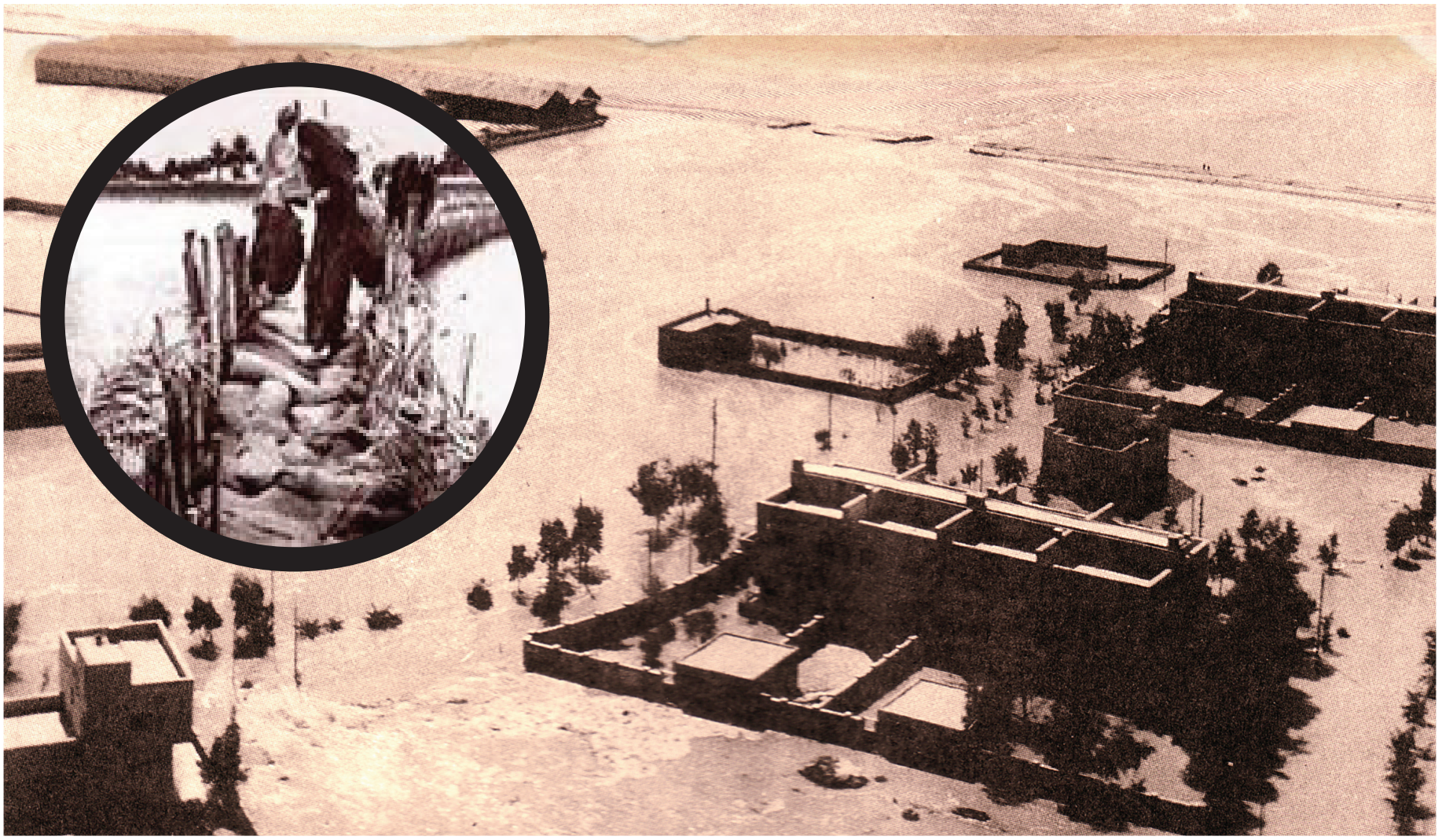

شهدت بغداد أخطر فيضان لنهر دجلة في عام ١٩٥٤ والذي هدد بغداد بالغرق، بسبب إرتفاع مناسيب نهر دجلة وقلة السدود على دجلة،وكانت الرصافة الأكثر تهديداً بالغرق، ولكن مرت الأزمة بسلام بسبب إشتراك الجهد الحكومي والعسكري والشعبي (المتطوعين) في الحد من خطورة الفيضان. .

سعيد قزاز وزير الداخلية يرفض إخلاء بغداد للحيلولة دون كارثة أخرى وصالح جبر يقول إن دور أهالي الكرخ قادرة على استيعاب مشردي الرصافة..اكدت الاحوال الجوية وشدة البرودة وكثرة الامطار التي هطلت في اواخر عام ١٩٥٣ واوائل سنة ١٩٥٤ ان فيضاناً خطراً سيداهم العراق .وقال وزير الزراعة (عبد الغني الدللي)ان تدابير قد اتخذت منها تقوية السدود الضعيفة التي أنشأت من الفيضانات السابقة في وادي دجلة، وتنسيق العمل والمراقبة وتحديد الواجبات لموظفي الري والادارة وغيرهم.. وفي ١٧/ ٣ /١٩٥٤ بدأت مناسيب المياه في نهر دجلة ترتفع ، ووصلت هذه المناسب إلى درجة خطرة في ٢٥ من اذار ، واعلنت البلاغات الرسمية ان الزيادة لم يسبق لها مثيل منذ ٤٨عاماً ،ووصلت المناسيب ارتفاعها ،فتولى الجيش والشرطة والاهالي حراسة السدود ، ووزعت الدوائر المختصة المواد اللازمة لمجابهة الفيضان ، وسخرت الحكومة المكائن والالات التي كانت الشركات الاجنبية تستخدمها في تبليط الشوارع واقامة المنشآت ، وقاربت الزيادة ٣٦ متراً في٢٦/اذار ،وهو المنسوب الذي يفوق درجة الخطر بمتر واحد ،.. فنامت بغداد ليلة ٢٧ اذار وهي فزعة قلقة يتهددها الفيضان والغرق في كل لحظة ،واضطرت سلطات الري إلى فتح اربع كسرات في مناطق الخفاجي والرفيع واليهودية والداوديه .وسهر الناس ليلة ٢٨ /اذار حتى الصباح وهم خائفون وايديهم على قلوبهم ،فقد بدأت المياه تتسرب إلى كثير من الدور والمؤسسات القريبة من النهر ، وتحولت ساحة السراي الكبرى إلى بحيرة تعذر على الموظفين اجتيازها بيسر..وكانت ليلة ٢٩ اذار اسوأ الليالي التي شهدتها بغداد ،وصارت مياه الفيضان التي تجمعت خلف السدود المحيطة بها من الشرق ومن الجنون تهدد العاصمة بغداد ... ولا يحول بينها وبين الكارثة سوى (سدة ناظم باشا) التي تحيط ببغداد من الناحية الشرقية وقد اصابها الهزال واخذت الرياح الشرقية تضغط عليها .وفي تلك الليلة اجتمع رؤساء الوزراء السابقون والوزراء والمسؤولون وبعض النواب والاعيان واتخذ مجلس الوزراء بعد مناقشة دقيقة للموقف قراراً باخلاء بغداد اخلاءً جزئياً.وقال البيان" انه من المستحسن ان ينقل الشيوخ والاطفال الصغار والمرضى من المناطق المجاورة للسداد الشرقية إلى جانب الكرخ.." وكان في بغداد زهاء ثلاثة ارباع المليون نسمة يسكن ثلثهم في جانب الرصافة المعرض للغرق . وسأل وزير الداخلية (سعيد قزاز) مهندس الري البريطاني عن درجة الخطر المحدق بالعاصمة ،فلما اجابه المهندس ان درجة الخطر قد تبلغ إلى ٩٥٪ ،اعلن الوزير القزاز انه يخالف هذا القرار لما يولد تنفيذه من ارتباك قد يؤدي إلى التهلكة ، وكان صالح جبر ،احد رؤساء الوزراء السابقين ،ممن حضر هذا الاجتماع ،قد قال :"ان نخوة اهل الكرخ تسمح بايواء سبع عائلات في كل دار من دورهم!!" ولما حضر الامير عبد الاله وجد نفسه بين قرار لمجلس الوزراء ومعارضة شديدة من جانب وزير الداخلية ،وكانت وجهة نظر القزاز ان في بغداد جسرين فقط فاذا اصطدمت سيارتان من سيارات المتسابقين في الهرب وقعت مذابح لاتعرف مغبتها ولا يمكن تلافي اضرارها. وشاءت ارادة الباري ان توقف الرياح العاتية التي كانت تعبث بالسدود ،وتهدد العاصمة بالكارثة في كل لحظة ،فاستقر الرأي على ان تضاعف جهود العناية بالسدود ،وان تتخذ كافة التدابير الضرورية لمجابهة الاحداث المتوقعة في كل لحظة .واعلن وزير الداخلية بياناً إلى الشعب العراقي بنبرات حزينة ونفس كسيرة قابلها الناس بالبكاء والعويل ،وكذب البيان الاخبار التي تحدثت عن بعض الكسرات في سدود مدينة بغداد. ولابد هنا من ذكر الوقفة الجريئة لوزير الداخلية سعيد قزاز وقد ذكر ذلك بعض الاخوة الباحثين في دراسة العراق الحديث في رسائلهم واطاروحاتهم الجامعية .حيث رفض قزاز اخلاء مدينة بغداد الحبيبة.اما المساحة التي غمرتها مياه الفيضان فقد تجاوزت مليوني فدان ،وان عدد الذين نكبوا بسببها كان نحو ربع مليون نسمة ،اما الاضرار المادية التي لحقت بالطرق والاراضي الزراعية وغيرها فقد تجاوزت خمسة وثلاثين مليون دينار ،وقد غرقت (بغداد الجديدة) برمتها ولم تبق منها الا مداخن كور الطابوق ،وغرقت حدائق الوزيرية بمياه المجاري ، وغرق (معسكر الرشيد) بما فيه من عتاد وارزاق ،وغرق كل ماكان خلف سدة ناظم باشا ، وكانت طائرات الهيلوكوبتر تنقذ المحصورين من المياه ،والقت هذه الطائرات ٢٥ طناً من المواد الغذائية ،وتبرع ملك السعودية (سعود بن عبدالعزيز) بمليون ونصف مليون ريال سعودي (حوالي ١٥٠ الف دينار) وتبرع امير الكويت (الشيخ عبدالله السالم بمائة الف دينار ، وشيخ البحرين بـ(٧٥٠٠ دينار) وقداسة البابا بثلاثة الاف دولار ،وتبرعت الهند بأربعين الف ربية ،وايران بمليون ريال ايراني وتبرعت جمعية الهلال الاحمر بخمسة الاف دينار وسمحت حكومة بغداد باجراء اكتتاب عام بمئة الف دينار ،وارسلت حكومات مصر وتركيا والاردن وسوريا بعثات طبية ،اما بريطانيا فقد تبرعت بالف خيمة وبخمسة ملايين كيس رمل نقلتها طائرات خاصة سقطت احداهن وقتل طاقمها ،وتبرعت امريكا من الخيم ومواد الاسعاف.ولم تقتصر الاضرار على بغداد حسب فقد حل بلواء الكوت ما حل بلواء بغداد ، ولحقت لواء العمارة اضرار عظيمة ،وتعرض لواء البصرة إلى اخطار جسيمة وانقطعت المواصلات بين بغداد ومعظم المدن الرئيسة وتعطلت الملاحة في دجلة.

من مذكرات فخري الفخري

القفة اقدم وسيلة نقل نهرية في العراق

سالم الالوسي
باحث آثاري

١- تمهيد:
خلف لنا اجدادنا العراقيون القدماء وسائل نقل نهرية كثيرة لا زال البعض منها مستعملا الى يومنا هذا كالمشاحيف المستعملة بكثرة في القسم الجنوبي من العراق وفي اهواره وبطائحه، فالمشحوف شبيه بالزورق الذي خلفه لنا السومريون، وفي الاثار العراقية المكتشفة في اور قرب الناصرية وفي مواطن اثرية اخرى وجدت نماذج من الزوارق، منها ما هو مصنوع من القار، والاخر من الطين المفخور، او المعدن كالنحاس والفضة والذهب، ومن يتجول في ابهاء المتحف العراقي ويمتع نظره بالاثار السومرية او البابلية يجد كثيرا من نماذج هذه الزوارق التي لا تختلف بشكلها عما هو مستعمل اليوم وقد تكون الطريقة التي اتبعها القدماء في صنعها هي الطريقة نفسها التي يستخدمها سكان الاهوار في الجنوب في عصرنا الحالي.

ومن بين وسائل النقل القديمة (الكلك) وتجمع على (اكلاك – وهي الارماث)، فهو وسيلة نقل نهرية استخدمها القدماء في نقل البضائع وفي التنقل وفي الحروب ايضا، والمنحوتات الاشورية حافلة بصور الاكلاك، الا ان من المؤسف ان هذه الوسيلة قد بطل استعمالها ولم يعد لها وجود في الوقت الحاضر فمنذ اكثر من ربع قرن اختفت الاكلاك او تكاد، ولم نعد نشاهدها وهي تنساب ببطء في نهري دجلة والفرات، لاسيما في وسط العراق وجنوبه ، اما في الشمال فتستعمل بنطاق ضيق جدا بسبب التطور الحاصل في صناعة وسائل النقل النهرية وكذلك بناء السدود على النهرين لاغراض ضبط مياه النهر ايام الفيضانات وتوزيعها للري والزراعة.

ومن الوسائل النهرية القديمة (القفة – وتجمع على قفف وقفاف – اما الاهالي فيلفظونها (كفة وتجمع على كفف وكفاف – بكاف فارسية) ، والقفة لغة، الزبيل، والقفة فرعة يابسة، وقد جاء في الحكم: القفة: كهيئة القرعة، تتخذ من خوص ونحوه تجعل فيه المرأة قطنها، وانشد ابن يرى شاهدا على قول الجوهري، القفة القرعة اليابسة للراجز:

رب عجوز رأسها كالقفة
تمشي بخف معها هرشفة

وقد ورد لفظ القفة في بعض كتب اللغة بصيغة (القفعة).

٢- وصف القفة:
والقفة، جسم كروي ناقص مفرطح على هيئة سلة او سفط كبير، تصنع من اعواد الرمان او الصفصاف ، وتتالف من قسمين:

أ- هيكلها ويتألف من اعواد الصفصاف او الرمان او التوت على هيئة الاضلاع.

ب- نسيجها او قشرتها على وجه اصح، ويتكون النسيج من الخوص والحلفاء والبردي يخيطونها مع الاضلاع، والخيوط المستعملة خيوط غليظة تصنع من ليف النخيل او ليف النارجيل (اي جوز الهند). وعند اكمالهم النسيج يطلون السطح بالقار (السيالي) ويتركونها لتجف عدة ايام، تطلى بعدها بطبقة سميكة من (القار) الثخين الذي يعرفه عند القفافين بـ (الدوسة). بسمك سنتمترين ويختلف سمك القار باختلاف حجم القفة، الا انه لا يزيد في جميع الاحوال على اربع سنتمترات.

ولايوجد للقفة دفة (سكان) كما هو الحال في بعض الزوارق والاكلاك، ولا صار لها كالسفينة. وبامكان شخص واحد ان يسير بها الى الوجهة التي يريدها الا ان الصعوبة تكمن في سيرها عكس تيار الماء الجاري، فيلجأ الملاحون الى سحبها بالحبال اذا كانت قفة كبيرة او متوسطة الحجم. والشخص الذي يقوم بجر القفة كان يعرف بالصانع، ويستعمل في سياقتها (المجذاف) ويسمى عند اهل المهنة بـ (الغرافة). وفي كثير من الاحيان يترك الملاحون القفة على حالها لتسوقها المياه الجارية نزولا عند مصبها. وكما ان هذه الوسيلة النهرية غريبة بشكلها فان صنعها يستلزم مهارة فائقة ويتطلب ذكاء.

وتستعمل القفف لنقل الاشخاص والحيوانات ولحمل البضائع كالفواكه والخضر والمواد الاخرى، وكذلك تستعمل في صيد الاسماك ، اما بواسطة الشبكة (الحذافة) او بالشعب وكان الناس يجدون في القفة وغيرها من وسائل النقل النهرية خير ملجأ يقيهم من شر الامراض الفتاكة، وهذا ما حدث عند فيضان نهر دجلة وقد استخدمها بعض الرحالة الاجانب مكانا للنوم لنظافتها. كما ذكر ذلك الرحالة الانكليزي السر واليس بودج في رحلته، فقد ذكر: (انني سافرت شخصيا بقفة كبيرة منها اياما وكان ذلك ايان فيض الفرات الذي احاط ببابل وفي فرع الهندية ونمت فيها ليلا.).

وعمر القفة لا يزيد على خمسة وعشرين عاما. ومن المؤسف حقا ان القفة تكاد تنقرض كما انقرض الرمث (الكلك) من قبلها، وقد بقي استعمالها محدودا في بعض المدن والقصبات في الفرات الاوسط وفي الجنوب وكذلك في نهر دجلة جنوبي العراق.

وجود القفة كما ذكرنا في اول المقال قديم جدا، فهي والكلك في القدمية سيان وقد وردت في بعض (الكتب المقدسة والمصادر التاريخية ما يشير الى استعمالها منذ اقدم العهود، وقد جاء في كلام سرجون الاولى الاكدي (حدود ٢٣٥٠ ق.م): (سرجون الاول ، ملك قادر، ملك اكد انا هو، حبلت بي امي بغير مباشرة والدي لها، بينما كان عمي يعتو في البلاد، وقد حبلت بي في مدينة (ازوبيراني) الواقعة على شط الفرات والدتي اصبحت حاملا وولدتني بالعالم في محل مخفي ووضعتني في قفة حقيرة من الصفصاف مطلى قير..).

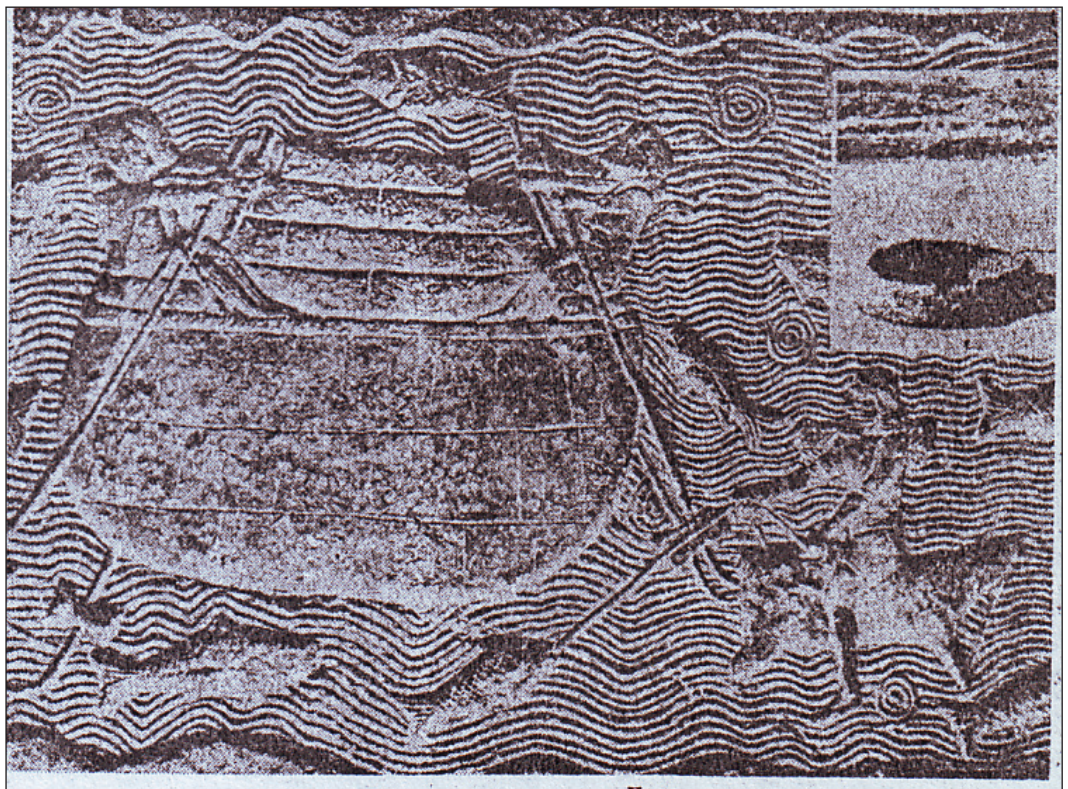
قفة من نينوى

وهذه الرواية عن لسان مؤسس الانبراطورية الاكدية تشير الى وجود القفة منذ ذلك العهد الواغل في القدم ، كما تشير الى المواد التي كانت تصنع منها كالصفصاف وطلائها بالقار. كما كان للمصريين القدماء اطلاع واسع في اشتغال القفة والظاهر انهم اخذوها عن البابليين والاشوريين. وما اشبه قصة الملك سرجون بقصة النبي موسى (ع)، ذلك كما ترويه بعض المصادر من ان كاهن فرعون تقدم من سيده وانبأه بان مولودا ذكرا سيلد من العبرانيين وسينزع منه الملك ويتغلب عليه، وخير طريقة للخلاص من هذا المولود الجديد هو قتله قبل ان يكبر ويشتد عوده، فاستجاب فرعون مصر لهذه النصيحة وامر بقتل المواليد الجدد الذكور من العبرانيين، وكان ما اراد الكاهن. واخذت القابلات يقتلن جميع من يلد بواسطتهن. ولما ولد موسى احتارت والدته (يوكابد) في اخفائه فقد اشفقت على وليدها من ان تنالها يد الفرعون ولم تسلمه الى رجال فرعون ثم احتفظت به وارضعته ثلاثة اشهر، ثم خافت ان يصل خبره الى رعمسيس او الى وزيره فينزلان عليها غضبهما،: (فاخذت له سفطا من بردي وطلته بالحمر والزفت وجعلت الولد فيه.. والقت به في اليم، ووقفت اخته من بعيد لترى ماذا يفعل به فنزلت ابنة فرعون (ميريس) الى النهر لتغتسل وكانت جواريها ماشيات على جانب النهر فرأت السفط وفي داخله الولد فاذا هو صبي يبكي فرقت له.. الى آخر هذه القصة. التي تشبه الى حد كبير قصة سرجون الاكدي كما ذكرنا.

وقد عثر في موقع نينوى العاصمة الاشورية، خلال التنقيبات الاثرية التي تمت في القرن التاسع عشر، على الواح مرمر منحوتة بصور وسائل نهرية مختلفة الاشكال ومن بينها صورة لقفة كما يشاهد في الرسم المنشور ضمن هذا المقال.

الصورة تمثل لوحا من المرمر نحت نحتا فائقا بصورة قفة يسيرها شخصان يمسك كل منهما بمجذافين مثبتين بالقفة، على خلاف ما كان مستعملا في العراق في العصور المتأخرة، فالقفاف (او كما يسميه اهل الصنعة – القفجي او الكفجي) كان يستخدم في تسيير القفة مجذافا (او غرافة) سائبا، كما كنا نشاهد ذلك في نهر دجلة قبل اكثر من ربع قرن. ويشاهد في اللوح ايضا رجل يصطاد السمك وهو يسبح على ظهر (جراب) منفوخ، واستعمال الاجربة المنفوخة في السباحة وعبور الانهار وفي الحروب النهرية، كان شائعا في العصور الاشورية، كما يستدل على ذلك من الاثار المكتشفة في نمرود ونينوى ويرتقي زمن هذا اللوح الى القرن السابع قبل الميلاد.

ويا حبذا لو انتبه المسؤولون واخص منهم بالذكر دوائر السياحة والآثار العامة الى وجوب الاحتفاظ بنماذج من القفف واستغلالها لاغراض سياحية، وكذلك وزارة المواصلات فما يضيرها لو عملت على انشاء متحف يضم نماذج من وسائل النقل التي استعملت في العراق ومن بينها الكلك والقفة.؟

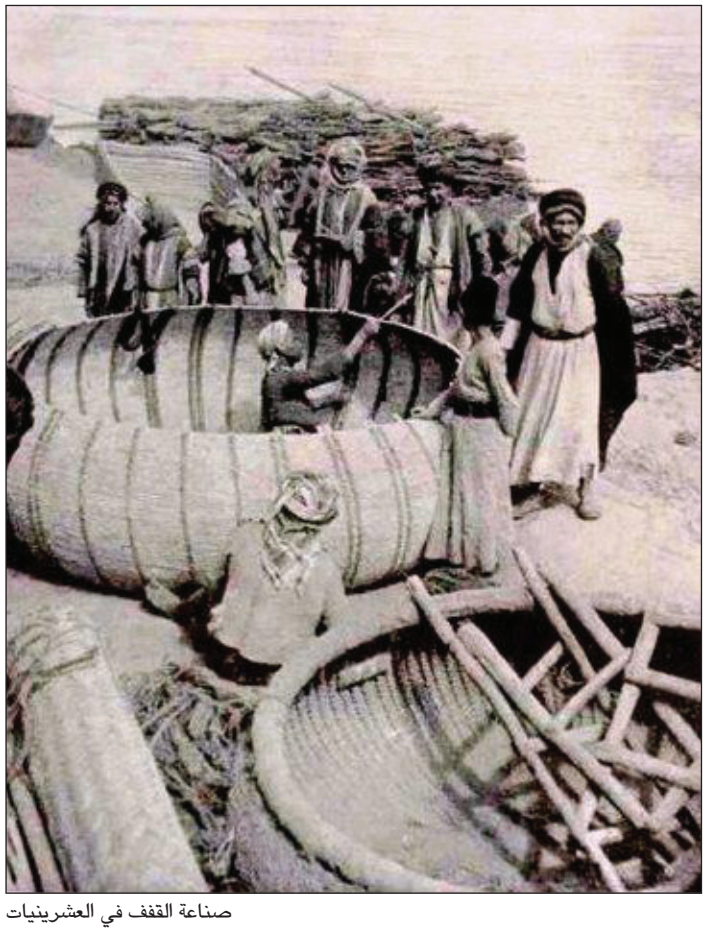
صناعة القفف في العشرينيات

قد تخبو الحياة في صلب الاشياء وقد يأخذها السبات الى عالم النسيان فتظل ردحاً من الزمن وثيقة الصلة بنفسها تعيد حكاية البدء والانتهاء هكذا قرأنا ذكريات الفنان ياس علي الناصر من خلال ملامح وجهه التي انفقت مع حركة اصابعه الثقيلة.قال: اذا اردت ان تكتب عني فكل شيء ستجده في مذكراتي الشخصية التي ساطبعها اذا توفرت الظروف الملائمة. قلنا له لتفتح الصفحة الاولى من مذكراتك ولنر معا من هو ياس علي الناصر وما حكايته مع السينما العراقية. قال واصابعه لا تزال تؤشر باتجاه الماضي الذي يحمل بين طياته الكثير والكثير.

اوراق من دفتر الذكريات

ياس علي الناصر: انجزت فيلم (فتنة وحسن) وكان معي 750 فلساً فقط!

× طقوس البداية

ولدت في الكرخ محلة سوق الجديد سنة ١٩٢١ وكانت مدرستي الأولى في الحياة مع والدي الذي كان يصحبني معه الى بني تميم وهناك كانت تبهرني طقوس العشائر العربية في افراحهم وطقوسهم وكانت كل تلك المشاهد الثرة تغذي مخيلتي التي نضجت معي وتحققت خلال رحلة حياتي الفنية وفي السينما بالذات حيث بدات عندما قدمت اول عمل مسرحي بعنوان "مجنون ليلى" على مسرح الفارابي الصيفي، وبعد ذلك بفترة قدمت مسرحيتين على قاعة الملك غازي وخصصت ريعها للجمعيات الخيرية. ومن ابرز هذه الاعمال مسرحية الاستعباد ليوسف وهبي وجوف الفيافي. ابن الباشا. الذبائح.

ثم عدت بعد ذلك لأمثل مسرحية مجنون ليلى على مسرح الفارابي حيث اخرجها الزميل حسين علوان السامرائي وكانت تلك آخر مرة اصعد بها على خشبة المسرح.

× مع الصحافة

تتشابك اصابع الفنان ياس علي الناصر مع بعضها وتحاول ان تمسك بخيط الايام التي يحددها بـ "المرحلة الثانية".

بعد ان تركت المسرح اتجهت للعمل في الصحافة وكان ذلك عام ١٩٤٨، اذ اصدرت ثلاث مجلات هي على التوالي "الكواكب العراقية" "صرخة الفن"، "دنيا الفن". واقول الحقيقة ان اصدار هذه المجلات في تلك الفترة يعد نوعا من المجازفة ولكنني مع ذلك حققت على صعيد الصحافة قفزة نوعية بالمقياس لما كان يصدر في ذلك الوقت.

وفي سنة ١٩٥٥ الغيت جميع المطبوعات فتخليت عن العمل الصحفي على مضض.

× والتقيت بالسينما

استطيع ان احدد علاقتي مع السينما بسنة ١٩٣٠ عندما كنت مشاهدا مزمنا للافلام. وقد عشقت فلم البؤساء الذي عرض في رويال سينما فأثر هذا الفلم في نفسي غاية التأثير كما اثر بي كذلك فلم يحيا الحب ويوم سعيد.

ومن ذلك التاريخ وضعت في ذهني ان اصنع فلما اساهم فيه ببناء سينما عراقية لم يكن لها وجود. وقد حفزني على المضي بمشروعي مشاهدتي للفلم العراقي المصري المشترك "ابن الشرق" الذي عرض في سينما غازي سنة ١٩٤٥ فقد اعادني الفلم الى الطقوس التي لا تزال تعيش في مخيلتي ففكرت في فلم فتنة وحسن وانا جالس في سينما غازي واذكر يأتي كنت لا املك سوى ٧٥٠ فلسا فقط ومن خلال هذا المبلغ الضئيل جمعت الممثلين وبدأنا العمل بامكانات بسيطة لعل ابرزها "استخدام التنكات والبواري في الانارة" وقد تغلبنا خلال عملنا في ستديو بغداد على خبرات عديدة في مجال السينما. وعندما انتهينا من الفلم عرض في اكثر من سينما اذكر منها: القاهرة، الهلال ومن شدة الزحام على الفلم الذي استمر لاشهر اغلقت الطرق وبخاصة شارع الرشيد.

× المياسة والمقداد

طبيعي ان نجاح فلم "فتنة وحسن" دفعك الى مشاريع سينمائية اخرى فما هي ؟

قبل ان اقدم فلم الدكتور حسن كان لدي مشروع فلم "المياسة والمقداد" الذي وفرنا له كافة الامكانات حيث اتفقنا مع علماء الدين على تحويل هذه القصة الى فلم وتقرر اتخاذ صحراء النجف مسرحا لأحداث الفلم. وقد قررنا في وقتها انا والاستاذ حبيب الملاك موزع فلم فتنة وحسن على استقدام ممثلة مصرية لتكون بطلة الفلم. الا ان مشروع هذا الفلم الغي بسبب الاتجاه الى عمل فلم نبوخذ نصر الذي لم ينجح النجاح الذي كان متوقعا له.

× الدكتور حسن

وعندما فشلت فكرة انجاز مشروع فلم المياسة والمقداد قررت البدء في عمل فلم الدكتور حسن الذي اخذت فكرته من قصة صراع في الظلام للاستاذ محمد منير آل ياسين. وقد نجح هذا الفلم نجاحا متوسطا بسبب هجوم بعض الافلام المناوئة لتلك الفترة حيث كان الفلم يعالج قضية صراع الفلاحين ضد الاقطاع.

واذكر بان صحيفة واحدة قيمت الفلم هي صحيفة الحرية للاستاذ قاسم حمودي.

واشتركت بعد ذلك بانتاج فلم "عفرة وبدر" كما مثلت فيه دور البطولة. كما اشتركت عن طريق الصدفة بفلم "ليلى في العراق" مع الممثل ابراهيم جلال. وتوليت بطولة فلمين من انتاج عراقي تركي هما "طاهر وزهرة" و"اوزو وقمبر".

وقد عرض الفلم الاول في بغداد.

× والان ماذا عن نشاطك الفني بعد مضي اربعين عاما من رحلتك الفنية.

لا زلت اواصل عملي في السينما حيث شاركت في فلم النهر ولدي مشروع انجاز مذكراتي التي تؤرخ للسينما العراقية كما اني مزمع على طبع نسخ جديدة من افلامي القديمة ليطلع عليها الجيل الجديد. واحب ان اشير الى النشاط السينمي المعاصر في العراق واقول بصراحة ان كل الامكانات متوفرة الا ان ما انتج لحد الان لا يلبي الطموح المرجو.

وهذا ما يجعلني اطالب بتضافر الجهود سواء كانت من القطاع الخاص او الاشتراكي لخلق حركة سينمائية متطورة لا تجعلنا نعيش على امجاد الامس وذكريات افلام البداية فقط.

مجلة فنون العدد 24
22كانون الثاني 1979

ذكريات تأسيس السينما في العراق

كيف تم انتاج فيلم (سعيد أفندي)؟

علي هاشم حسين / ناقد

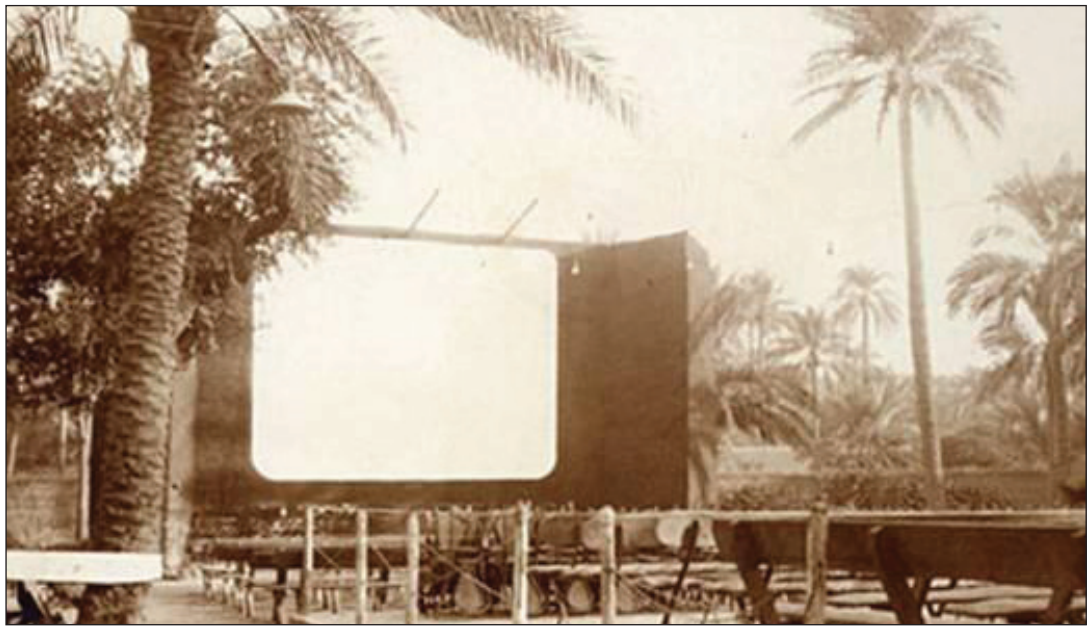

في العام ١٩٥٥ تأسست شركة سومر بجهود الفنانين العراقيين هؤلاء الحالمون بصناعة سينمائية متقدمة وهم: عبد الجبار توفيق ولي، وحقي الشبلي، وابراهيم جلال، وجاسم العبودي، فسارع الفنان كاظم مبارك الى تهنئة المؤسسين للشركة السينمائية ودعاهم للمجيء الى منطقة المنتفك لمشاهدة مسرحيته ولكنهم اعتذروا، ثم بعثوا له برسالة يدعونه (كاظم مبارك) ليكون سنداً، وعونا لشركتهم واعمالهم الفنية، فقام بزيارة العاصمة بغداد، والتقى بالفنانين في مقر الشركة، وفور عودته الى مدينته الناصرية سمع خبرا عن ترشيحه للبطولة كوجه جديد بالمشاركة مع الفنانة الكبيرة ناهدة الرماح، وقد وقع اختيار هيئة الاخراج على قصة للكاتب العراقي ادمون صبري، اتفق على تحويلها الى فيلم سينمائي، بعدها اجري الاختبار للفنان كاظم في مقر الشركة حيث تشكلت لجنة الاختبار برئاسة عبد الجبار ولي مخرج الفيلم، وهنا سارع فناننا للانتقال من الناصرية والاستقرار في بغداد ليكون قريبا من الاجواء الفنية الساحرة، فاستلم نسخة من سيناريو البداية، حتى دخوله استوديو بغداد مع ناهدة الرماح، علما ان كل المشاركين في الفيلم من الممثلين لم يقفوا سابقا امام كاميرا سينمائية عدا الفنان الكبير فخري الزبيدي الذي كان مشتركا في تمثيل فيلم القاهرة بغداد – المنتج عام ١٩٤٦ كان العمل السينمائي لهؤلاء الفنانين (ممثلين وفنيين) شيئا جديداً وممتعا في ذات الوقت.

الفنان كاظم مبارك يصف تلك اللحظات بالنشوة ورعشة الفرح وهو يقول (كانت تتملكنا الدهشة حينما نصور لقطات من نهاية الفيلم، فلم نكن نعلم ما هي الاستمرارية في السينما، ولا نعرف ما الذي يعنيه المونتاج؟، رغم اتقاننا لادوارنا لقد ظل استوديو بغداد مهجورا لفترة طويلة وكان مملوءاً بالقطط والكلاب واصبح خرابة قبل مجيئنا لتصوير الفيلم واعادة الحياة اليه لكن صاحب الاستوديو فرض علينا اجورا باهظة حيث دفع منتج الفيلم ما قيمته انذاك نحو ٥٠ دينارا في اليوم اي ما يوازي (١٥٠٠) دينار شهريا فكان يمكن تقليص هذه الاجور وصرفها في مواضع اخرى، لقد صورنا الفيلم بكاميرا نوع (فنتن) قياس (٣٥ ملم)، اما مصور الفيلم وهو الهندي دفيجا والذي طلب اجورا زهيدة، فقد تعاقد معه في دلهي مخرج الفيلم، وقد تعثر انتاج الفيلم الى ان تولاه المنتج حبيب الملاك اما الفنان حافظ الدروبي فقد صمم ونفذ (شيت) الفيلم، لكن الرقابة منعت الفيلم بين عامي ١٩٥٦ و١٩٥٧ حتى اجيز ليصبح فيلما مملوكا بالكامل لحبيب الملاك – يشير كاظم مبارك الى نقطة مهمة وهي ان فناني السينما في العراق يمرون اليوم بهموم فنان العقد الخامس من القرن الماضي نفسها.

ويبدي دهشته والمه من انفراط عقد العلاقات بين السينمائيين العراقيين اليوم ويؤكد متانة وقوة تلك العلاقات ايام الخمسينات قائلا يغمرني الفرح عندما اسمع او ارى انجازا جديدا للسينما العراقية – شكلا ومضمونا ونكهة تحيلنا الى ان تكون عراقيا تعشق كل العراق.

وعندما سألته عن اي مستقبل ينتظر السينما العراقية، اشار بتحفظ (لا اكتمك السر انني لا استطيع التصريح بشيء مفيد عن السينما العراقية لانقطاعي كل هذه الفترة الطويلة عن العمل في السينما، رغم متابعتي لكل ما هو جديد في السينما العربية والعالمية اما ملاحظاته عن افلام عراقية انتجت بعد فيلم من المسؤول، فقال باقتضاب (كان المفروض ان تكون هناك قفزات فنية متجاوزة لما انجزناه؟ وقد قرأت لمخرج ايطالي زار العراق في الثمانينات وتحدث عن تقدم وحداثة المعدات والاجهزة السينمائية وعدم توفرها حتى في ايطاليا).

اطرف ما يتذكره عن ايام التصوير في فيلم من المسؤول؟

قال: حينما اردنا الحصول على قطعة تأكل طيور خليل شوقي، قمنا بالبحث عن قطة تقوم بالمهمة حتى وجدنا قطة ضعيفة جدا لا تكاد تتحرك افادتنا في تنفيذ مشهد المطيرجي، ويتذكر في موضع آخر (حينما اردنا تصوير مشهد للعجوز التي قالت للمخرج بعد بداية التصوير وايعازه قائلا اكشن، قالت العجوز (اكح خلة هسة؟) اما الدكان الذي كان مكانا لشخصية العطار والتي جسدها الفنان فخري الزبيدي، (الدكان امتلأ بالمعلبات والمأكولات التي تعفنت بعد ثلاثين يوما من التصوير)، ولعل اهم ما يتذكره الفنان كاظم هو زيارة الفنان المصري الكبير يوسف وهبي لموقع التصوير في استوديو بغداد للاطلاع على امكانات الاستوديو، وقد التقى الاستاذ وهبي بكل الفنانين العاملين في فيلم من المسؤول، وابدى ملاحظاته القيمة، وآخر ما تذكره الفنان كاظم حيث قال (عندما كنت اصور مشهدا في شارع الرشيد، وارتديت بدلة مفتش البلدية تفاجأت بهروب بائع اللبن، وهو يصرخ راكظا اجه المفتش (اجه المفتش)، اضافة الى ان مخرج الفيلم قد ولد له طفل في اثناء التصوير فاسماه جودي احتفاء بشخصية جودي التي جسدتها انا)، واخيرا لا بد ان نذكر بعض التفاصيل عن بدايات بطلنا جودي في فيلم من المسؤول اي بدايات فنانا كاظم مبارك وثانيا مسيرته الفنية في المسرح الذي شكل الاساس الاول لرحلته مع السينما العراقية حيث جسد العديد من مسرحيات موليير بين الاعوام ١٩٤٥ – ١٩٥٠ وقد قاده الى معترك العمل المسرحي استاذه حسين علي البصري ليلم بكل ما يعنيه فن التمثيل اضافة الى توفر صالة العرض المسرحي المتكامل في مدينة الناصرية، والمسرح كانت له قدسية لدى الجمهور حتى ان المسرحيات كانت تسبقها مقدمة غنائية قبل بداية الفصل الاول في العرض المسرحي.

وحيد الشاهري.. الذاكرة التي انطفأت..!

يوسف العاني

في الخمسينيات كان حماسنا كبيراً في متابعة الافلام السينمائية الجيدة اولا، ثم متابعة الافلام الاخرى اياً كان مستواها. من اجل ان نتعرف على كل سياقات ومضامين تلك الافلام ولتكتمل الرؤية ونكون الموقف من خلال تناولنا تلك الافلام بالنقد والتحليل.

كنا في تلك الفترة وما قبلها.. نكاد نتلاقى كل اسبوع او بين اسبوع وآخر.. في اليوم الاول من عرض الافلام الجيدة.. التي سبقها اعلام واعلان عنها.. تكاد الوجوه تتكرر.. بل كانت تلك الوجوه تتلاقى بعد ذلك.. لتتبادل وجهات النظر بشأن هذا الفيلم او ذاك.. من بين تلك الوجوه التي كانت تظهر بتواضع وبخجل احيانا شاب اسمر اللون نحيف القوام، نراه ولكننا لم نكن نعرفه.. ولأقل لم اكن اعرف اسمه.. ومرت سنوات وكانت لقاءاتنا المسرحية.. خلال "التمرينات" او قبل العروض تتكرر..

واذا بنا امام ذاك الشاب الذي ظل متواضعا خجولا.. لكن رغم ذلك كنت – انا بالذات – الاحظ اهتمامه وحماسته.. وفضوله احيانا في معرفة تفاصيل حالة ما.. واشياء ذات علاقة بالمسرحية.

قبل اشهر من نهاية عام ١٩٩٨، رأيت ذاك الذي كان شاباً كهلا يدخل مجلتنا "الف باء" ليقدم الى قسم "الفنون" عدداً من مقالاته.. رأيته يدخل بذاك الهدوء بل وبالخجل احياناً لا يعلوا صوته الا بقدر اسماعك ما يريد حول هذا المقال او ذاك.. بل ظل لفترة طويلة وهو ينشر مقالاته النقدية او الارشيفية.. ظل مترددا في طلب نسخة من المجلة التي نشرت فيها مقالاته.

بين الخمسينيات وبين نهاية عام ١٩٩٨.. وقد فارق.. "وحيد الشاهري" الحياة يعيش الهدوء والصمت وبلا ضجيج.. بين هذه السنوات الطويلة كانت بيني وبينه معرفة عميقة بدأت بعد سنوات من تعارفنا الذي اشرت اليه.. وكان ذاك التعارف الجديد عمر مقالة كتبتها في ١٤ تشرين الاول عام ١٩٧٧ بعنوان "كيف الكيف؟" وفيه مفارقة بطلاها شخصيتان في مقهى "البيروتي، الشهيرة، فقد وصلتني رسالة من "وحيد" يشير الى ان احدى هاتين الشخصيتين والتي تقدم "القهوة" لزبائن المقهى. هو "ابوه" حسن الذي اشتهر وعرف بقهوته التي يفضلها كل زبائن المقهى.. ولم تكن الرسالة تقدم هذه المعلومة حسب بل راح وعبر ذاكرته الغنية المنقدة يستعيد لي شخصيات صوب الكرخ.. ومحلاتها .. واطرافها.. ومهتما.. وخاناتها

وحماميل تلك الخانات وشخصيات مقهى البيروني.. وحمدة ام الكيمر وشهاب ابو الحبال.. وسيد عزيز العرضحاجي وكرومي العطار ودعبول البلام وملا عبود الكرخي، ثم سوق الجديد وخضر الياس والمختار صالح العمرو بيت رشيد الهندي؟ وتوفيق الحسن ودربونه المعاضدة و.. و.. وكأنه "خزنة" لكل من مر من هناك او عاش في جانب الكرخ من نهاية الجعيفر وحتى الصالحية.. صفحات تحمل الاسماء والصفات.. وفجأة ينتقل الى مكتبة "عباس الكتبي، ومكتبة "ذيبان المولى" ومكتبة ، رشاد السامرائي التي يعاونه فيها اخوه "ناجي" حيث كنا نشتري من هذه المكتبة، الصباح دنيا الفن، مسامرات الجيب، السينما، الاستوديو، الكواكب.. وغيرها ويشير الى انه يحتفظ بمجلة "الفن" فقط فقد ضاعت تلك المجلات لسبب او لآخر ويعود ليذكرني بالافلام السينمائية التي كنا نشاهدها فيذكر بعضا من الافلام الهندية والعربية والاميركية بلا حساب.

حتى اغاني تلك الافلام وملحنيها وتواريخ عرضها ودور السينما التي عرضها و... و... وكانت رسالته تلك فتح باب لادعوه كي التقي به.. وان يدخل ميدان النشر في "الف باء" بعد ان نشر في اكثر من صحيفة.. من صحفنا اليومية.. وان نجلس بعد هذه السنوات نتناقش في شؤون الفن.. وهو يؤكد على اثر تلك السنوات ويشير الى "المقام" حيث علمت انه يعمل "ببيت المقام العراقي" كما اتذكر – وان لديه خزينا من المجلات والكتب والمذكرات والذكريات في هذا الميدان ايضا.. ويحلم ان توجه اليه دعوة، لالقاء محاضرة في عمان.. عن المقام العراقي؟

وحيد الشاهري بدأ عمله طباعا ماهرا للاوفسيت في مطبعة الحكومة عام ١٩٤٦.. وبعد سنوات مشرفا على قسم الطبع في مطبعة الجهاز المركزي للاحصاء في وزارة التخطيط وتقاعد وظيفيا في ١٩٨٢/١/١ لكن الذي بقي عنده ذاك الخزين الكبير من ارشيف ظلت – رغم المجلات والصفحات المتجمعة عنده – اقول ظلت ذاكرته معينا لا ينضب يتابع ويصحح خطى الكثير من الكتاب الذين يتناولون ما كان.. ويضيف ويحلل.. ويتقدم الى كل صحيفة ينشر فيها بتواضع وادب.. وبلا ادعاء الا بالقدر الذي يعرف مؤكدا ذلك بالوثائق والحجج.

هذه الذاكرة انطفأت ولم نكن ندري الا من خلال مربع صغير تقدم مقالة له في جريدة العراق في ٢٤ تشرين الثاني ١٩٩٨ ثم في جريدة الموعد في ٩ كانون الاول ١٩٩٨ فكان عليّ ان اضيف القليل من الكثير الذي اعرفه عن وحيد الشاهري الذاكرة النظيفة عن سنوات عمره من خلال الناس الطيبين الذين عرفهم في "صوب" الكرخ.. بكل ازقته، ومحلاته ودرابينه مع الاعتذار عن تأخري في الكتابة .. رحمة الله عليه.

عن مجلة (ألف باء) 30 /ك1/ 1988

السفر بر أو دكة الغربية

شهود عيان

يتذكر المعمرون العراقيون دون شك "السفر بر" او ما يطلق عليه على لسان العامة "دكة الغربية" حيث اخذت النسوة يندبن بقولهن "أويلاخ يا دكة الغربية"، وقد حزن الناس حزنا شديدا على مصير المجندين العراقيين الذين لاقوا حتفهم برداً وجوعا وقتلا، والذين نجوا من تلك الكارثة احتفظوا ببعض الذكريات عن احوال تلك الرحلة الشاقة مشيا على الاقدام لملاقاة مصير مجهول، يذكر الدكتور علي الوردي الواقعة في كتابه "لمحات من تاريخ العراق الحديث" في صباح 3 آب من عام 1914 فوجيء العراقيون بالطبول تدق على غير العادة، وشاهدوا على الجدران، اعلانات رسم فيها صورة مدفع وبندقية، وقد كتب تحتها عبارة تركية "سفر برلك" وار – عسكر اولاتلر سلاح ياشنه" ومعناها ان النفير العام قد اعلن وعلى الجنود او يكونوا على اهبة الاستعداد باسلحتهم.

كمال لطيف سالم

كان القصد من هذا الاعلان البدء بالتعبئة العامة دون الاشتراك في الحرب، اذ ان تركيا لم تدخل الحرب الا بعد ثلاثة اشهر ولكن العامة في العراق، لم يفهموا ذلك، ولم يميزوا بين اعلان النفير والدخول في الحرب، فساد الوجوم على الكثير منهم وعدوا الامر من قبيل البلاء.

وقد فسر بعضهم عبارة "سفر برلك وار" بانها تعني السفر الى بلدة وان في الاناضول، فهم جعلوا الراء في وارتونا، ولم يقتصر هذا الخطأ على العراق وحده، بل ان العامة في الاناضول ايضا قرأوا العبارة على انها السفر الى (وان).

لقد بدأ الجنود الاتراك يفرون من صفوف الجيش من اواخر عام ١٩١٦، وقد سبق الجنود العراقيون اولئك بمدة طويلة، اذ هم بدأوا يفرون منذ يوم اعلان النفير العام، وظلوا كذلك حتى نهاية الحرب؟

وكلمة "سفر برلك" تحولت على لسان العراقيين الى "سفر علك"؟ وصار الناس يتعاونون في مساعدة الذين يريدون الفرار، وفي تضليل الباحثين عنهم، من رجال الحكومة، وقد اخذت الحكومة تشتد في ملاحقة الفارين، فكان رجال الدرك، الجندرمة، يتعقبون الفارين ويطرقون عليهم البيوت، ويطاردونهم من فوق الشطوح ومن خلال اشجار البساتين، وحين يعجزون عن القبض على احد منهم، يلقون القبض على ابيه او اخيه ولا يطلقون سراح احد منهما الا بعد ان يسلم الفار نفسه، وعندما كثر الفرار من صفوف الجيش اصدر انور باشا "وزير الحربية امراً باعدام نصف الفارين المقبوض عليهم، وسوق النصف الآخر الى ساحة القتال.

وفي اواخر شباط من عام ١٩١٥ جرى في بغداد اول اعدام من هذا القبيل، وكان لرجل يهودي اسمه ياسين بن يعقوب من محلة قنبر علي وقد اعدم، وتوالت بعد ذلك مشاهد الاعدامات، ولم ينج من التجنيد، سوى الذين كانوا يحملون رعوبات اجنبية.

وقد نجت من التجنيد الاسر الغنية واولو النفوذ، تجربة مريرة للعراقيين في تجنيد عام ١٨٧٧، حين سبق عشرة الاف مجند عراقي الى قفقاسيا، فهلك اكثرهم من شدة البرد والجوع، ومن هنا نشأت النوحية المشهورة في العراق "اويلاح يا دكة الغربية"، ثم جاء عام ١٩٠٤ بتجربة مريرة حيث هلك الاف من المجندين في العراء، وهي الكارثة التي اشتهرت في العراق باسم "دكة ابن رشيد"، ودكة الغربية عام ١٩١٤، معظم الذين ذهبوا لم يعودوا.

× شهود عيان

يذكر الاستاذ محمد الجبوري عن ابيه اسماعيل سبع الجبوري "عندما اعلنت الدولة العثمانية انضمامها الى المانيا ضد الحلفاء، إبان الحرب العالمية الاولى طبقت النفير العام، في ارجاء الامبراطورية، والنفير العام يشمل الرجال فقط، والذين تتراوح اعمارهم بين السنة السادسة عشرة، وبين الخمسين عاما، فانسحب النفير العام على رجال كثيرين منهم من اكمل الخدمة العسكرية، ومنهم من لم يدخلها، وتجمعوا بمسيرة ضخمة في شارع الرشيد، وكان شهر رمضان انذاك، واتجهوا نحو القلعة، وسط زغاريد النساء وهتافات الصبيان، وكان المعروف انذاك ان الذين يذهب الى الحرب لايعود، فكان الجنود يرددون اثناء مسيرهم.

ببرق الموت رفرف فوك روس النشامه
يا حبيبي تنحه طارش جانه

لانهم يدركون ادراكا تاما انهم سوف يقاتلون في حرب غير متكافئة لان الدولة العثمانية "الرجل المريض" كانت تعاني من الضعف والانهيار الذي يؤذن بالسقوط واتجهوا نحو القلعة على ان يكون التوجه الى جبهات القتال صباح اليوم التالي، واصر الملا عثمان الموصلي على اقامة المنقبة النبوية الشريفة توديعا للعسكر "الجنود" وتم ذلك في جامع الحيدرخانة، حيث جمع الجنود واقيمت المنقبة النبوية وقرا الملا عثمان على نغم المقام العراقي قصيدة نظمها للمناسبة، لم يبق في الذاكرة منها سوى بيت واحد.

عسكرنا سفر بر هلل له وكبر

وفي اليوم التالي توجه الجنود الى محطة القطار حيث اقلهم الى سامراء، لان سكة الحديد كانت تبدأ من بغداد وتنتهي في سامراء، بعدها ترجل الجنود وعليهم ان يقطعوا المسافة سيرا على الاقدام من سامراء الى روسيا القيصرية، وبدأت المسيرة الطويلة بكل معاناتهم، واستبدلت "التفك" فقط

ببنادق حديثة تستوعب عشر إطلاقات. وزود كل جندي بخمسين اطلاقة يضعها في صف رصاص مصنوع من الجلد فيه جيوب توضع فيها الاطلاقات، وكانت تعمل في معمل الجيش ، قسم السراجة في "العبخانة" "منطقة العبخانة حاليا". وكان الضابط يمتطي الجواد وكذلك الامام الذي يصلي بالجنود. اما الباقون فكانوا يقطعون المسافات الشاسعة سيرا على الاقدام ومن ضمنهم "الجاووش" اي العريف. وقطعت المسافة بين صعود الجبال والسير في الوديان. ودخل الجيش الاراضي الروسية، ونزلت الثلوج حيث غطت الارض، والتقى الجيش الصاعد بجيش كان على خطوط التماس وهو عائد مخذول، وقد خسر معركة خاضها ضد الروس ولكنهم لم يفصحوا عن الخسارة لكي لا يرهب الجيش القادم من بغداد، ولكن اسماعيل سبع الجبوري الذي كان برتبه جاووش انتزعها من رجل عربي شمري حيث قال الشمري وهو يقود جواده بيده "الزود الهم" ، وفهم القصد ولكنه اسرها في نفسه ولم يبدها للجنود. لان موعد المعركة قريب وبلغ الجنود بانهم على خطوط التماس، وعليهم ان يحفروا "السويرات" اي "الخنادق" حيث تم الحفر ووضعت المدافع خلف المشاة فهرس اسماعيل سبع يشجع الجنود.

مالك عكل يالي تهاب الموت
يومه المنيه مايموت انسان
وارتفعت اصوات الجنود بالاهازيج ثم واصل
حورب واندب الفرسان
لو صالت عليك الكوم
عين الما بجت لحسين
عميه وما تذوك النوم
× ثم نادى بصوته الجمهوري
يابو بكر شديد الباس
فاروقنا يرعى العدا كرداس
عثمان لو صار الحرب لاباس
لكن علي تشهد له الكفار
سري وجنيد مع معروف
شدوا محازمهم على المسقوف
امة محمد يوم الجهاد صفوف
مايرهبون الطوب لمن ثار
سهروردي فزعة المضيوم
وابن ثابت بحر العلوم
ليث السرايا للعدا جزار
عربي قرص تسمع حنين الطوب

واقتربت ساعة الصفر، واشتبك الجيشان عند اول اطلاقة مدفع، ارتد احد الجنود خوفا وكان يهوديا؟ وحاول الهزيمة فسحب الضابط مسدسه يريد قتله ولكن المرحوم اسماعيل الجبوري منعه من ذلك وقال له لا تطلق النار عليه لانه قد فزع ولم يشهد قتالا من قبل، فهدأ الضابط وعاد اليهودي الى (السوير) واستمرت المعركة، وقد استطاع الجيش العثماني والذي جله من العراقيين ان يهزم الجيش الروسي، وقد اشتبك الجيش ثلاث مرات مع جيش روسيا القيصرية، وفي المرة الثالثة امر الجيش بالانسحاب ليلا لانهم توقعوا ان الجيش العثماني سوف يطوقه الروس، وعندما اشرقت الشمس كانوا بعيدين عن ارض المعركة. ومما يرويه المرحوم اسماعيل الجبوري. انهم عبروا مرة على نهر متجمد بمدافعهم وخيولهم وتجهيزاتهم، فكان الجليد خير جسر لهم.

وروى ايضا: ان محمد باشا الداغستاني قد زارهم وهم في الجبهة . فتجمع الجنود في صفوف لاستقباله وعندما اقترب عملوا "سنكي صاغ" اي ركبوا الحراب على البنادق، وعندما وصل الصفوف اخذوا له "سلام لغ" اي اخذوا له تحية بالبنادق وقد اوصى محمد باشا الداغستاني قائد الجند بقوله "هؤلاء ابناء بغداد اولاد عز فاوصيك بهم خيرا" بعدها ودعم وعاد ادراجه.

كانت الارزاق قليلة "التمرين" حيث كانت تقدم اليهم "القلاطة" والقلاطة اشبه بالصمون اليابس، فكان يكسرها باخمص البندقية، وفي ليلة تعشى الجيش كله بصلا وقد ضاق صدر الجنود بما حل بهم من سوء التغذية، وقلة العناية، فبدؤا يمرضون ويموتون من شدة البرد وقلة الغذاء، فارتفع صوت حائك من اهالي باب الشيخ وهو يقول:

لعنة بلد موشها مع تبليسها والوان
بيهه كل العساكر نايمة وتون
والكردي بيها سكن عاف الوطن ماون
ديارها موحشة واطرافها اجيال
جلجل علينا الوفر شبه المحيط جبال
ناديت ياخالجي شنه السكم بجبال
بغداد دار المعزة والمذلة بوان

ومما يرويه المرحوم اسماعيل الجبوري انه اراد ان يشتري حذاء من مدينة واقعة على جبل قريب منهم، واتفق مع مجموعة من الجنود كانوا بحاجة الى احذية، وكانت المدينة تبدو قريبة، واستمروا بالصعود ولكن البصر قد خدعهم فلم يصلوها إلا عصرا، فلما دخلوها القي القبض عليهم من قبل المسؤول العثماني بعد ان اتهمهم بانهم يحاولون الهروب، واودعوا السجن الى ان استطاعوا بعد ايام ان يقنعوا قائدا جاء لزيارة القلعة بكونهم جاءوا لشراء الاحذية، ولما اقتنع افرج عنهم ثم عادوا، وعندا وصلوا الى منطقة المعسكر لم يجدوا الجيش، وعندا سألوا احد القرويين قال لهم، ان جيشكم قد توجه الى بغداد قبل يومين، وكان عددهم عشرة وهم يحملون بنادقهم وعتادهم، فقرروا اللحاق بالجيش، وتوجهوا نحو بغداد، وبعد مسيرة وصلوا الى مكان شاهدوا من بعيد على مرتفع من الارض جنودا يركبون الخيل وقد لبسوا الغزو فقال احدهم، هذا جيشنا ، ولكن المتبصرين قالوا: هذا ليس جيشنا انها سرية روسية لان جيشنا لا يلبس الفرو، واجمعوا على انها سرية روسية فقالوا ما العمل، فقال قسم منهم نستأسر لهم ولكن اسماعيل الجبوري ابى ذلك وقال: انسلم انفسنا لهؤلاء يعبثون برؤوسنا بحرابهم لا والله لن يكون هذا فقالوا، اذن ما العمل ونحن على قله، قال نحاربهم، وامرهم "لانه الجاووش" بالاحتفاء خلف الصخور ثم كبر واطلقت البنادق مرة واحدة، وقد سقط قسم من السرية الروسية من على ظهور خيولهم، وترجل الباقون ودارت رحى معركة غير متكافئة، وكانت السرية الروسية تمتلك "مطر اللوز" اي رشاش، وطلب اسماعيل الجبوري من احد الجنود وكان بدويا ان يحدو ليشد من ازر الجنود. وبدأ البدري يحدوا واطلاق النار مستمر، وشعر الجنود بدنوا اجلهم بعد نفاذ عتادهم. إلا ان نجدة جاءت من خلفهم فنجوا باعجوبة.، وسأل "الحميدية" اسماعيل عما جاء بهم الى هنا فاخبرهم بما جرى، فقالوا لاباس عليكم انكم قد سرتم في الطريق المعاكس لبغداد، وانتم كنتم تتجهون نحو الاراضي الروسية، فما عليكم إلا ان تعودوا من هذا الطريق وبدأت مسيرة هؤلاء الجنود البغداديين باتجاه بغداد سعيا على الاقدام من الحدود الروسية العثمانية الى بغداد وعندما اقتربوا من بغداد اول ما شاهدوا في الافق منارة سوق الغزل، وبة كنيسة اللاتين.

ويروي المرحوم شهاب محمد كاظم الذي ولد في محلة العمار سنة ١٨٨٠ والذي توفى سنة ١٩٦٨ والذي اسر سبع سنوات في روسيا. قال: بعد ان فر هو وثلاثة من افراد الجيش العثماني توجهوا نحو الموصل وعانوا من الجوع ثلاثة ايام، ولما دخلوا احد بيوت الموصل، وكانت المجاعة قد حلت بمدينة الموصل فقدم اهل البيت لهم اربعة صحون مملؤة بالليرات فادرك هؤلاء الاربعة ان الطعام اغلى من الذهب. ولايوجد لدى هذا البيت طعام فخرج هو وجماعته من البيت ولم ياخذوا شيئا من الليرات، ومن الذين اسروا محمد النايلة ومحمد البقال وسلمان دهش وسيد نايل محمود. وهم من اهالي محلة بني سعيد ولد الاول سنة ١٨٨٥ وتوفي سنة ١٩٧٩ وسيد نايل ولد في سنة ١٨٩٠ وتوفي سنة ١٩٧٩ ومن الذين فروا المطرب المرحوم عبد الامير طوبر جاوي. انها ملحمة تذكر بقوة العراقيين الذين قاتلوا وعانوا لانهم جبلوا على القوة والبسالة.

المناحات

ينقل الباحث الفولكلوري عبد اللطيف المعاضيدي بعض المناحات التي كانت يطلقها الناس حزنا على الجنود الذين ماتوا في ثلوج قفقاسيا. ومن تلك الابيات التي تصور نزعة الالم والشجن لدى النساء قول المرحومة "ريمة علي الطلعة" وهي خالة الشيخ عبد الفتاح معروف ناعية على الاتراك :

سودة على السؤه السفر بر
بومه شفت لو يوم محشر
ليلي ونين وصبحي اكثر
وابن الشفيه الراح وينه؟

فترد عليها اختها السيدة "حسنة" والدة المرحوم عبدالفتاح معروف بقولها:

خلي الهضم ياريمة جوه
كثره على التركي شوه
ما ظل بشر من ولد حوه
راحوا ولا ردوا علينا

فشاركتها اختها المرحومة "طليعة" بقولها:

خلي الهضم والجور خلي
يوم المشي "عليان" كلي
ابو الزغار شيال يا اهلي
ولا يشمت الشمات بينا

وهذه اخرى تنطلق الى مقابر الشيخ معروف الكرخي تضرب صدرها وتصرخ مستنهضة الراقدين تحت التراب بقولها:

شكوا الكاع كوموا يا ولد معروف
ساك اولادنا العصملي للمسقوف
وين اهل الحمية رجال هم سيوف
شكوا الكاع كوموا علحرامية

وسيدة اخرى من سيدات الكرخ من كهاوي عكيل – زج بزوجها ومعيلها الوحيد الى "وان" فارسلت هذه التنهيدة:

أون علراح ماودع ولا ون
ولايسأل على الرجعة ولا وين
نجوم تروح للغربي على "ون"
زخر جانوا لايام الرزية

في عشرينيات القرن المنصرم

ابـــن قـيـصـر روســـيـــا فـــي بـغـداد

رفعة عبد الرزاق محمد

عرضت احدى المحطات الفضائية الوثائقية قبل فترة قصيرة ، تقريرا ممتعا وخطيرا عن السيدة الروسية التي ادعت انها ابنة قيصر روسيا الاخير نقولا الثاني ، وهي الناجية الوحيدة من مذبحة البلاشفة الروس لاسرة القياصرة من ال رومانوف التي حكمت روسيا منذ قرون ، وانتهى عهدها بالثورة الشيوعية الكبرى عام ١٩١٧ . وقد ادعت هذه السيدة انها الاميرة انستاسيا ابنة القيصر الاخير ، وبقيت طيلة عمرها تراجع الجهات المختلفة في العالم لاثبات دعواها ، حتى فشلت في ذلك ، مع الادلة القوية التي ساقها الكثيرون لاجل ذلك ، ومنها ما قام به عدد من هواة البحث عن رفات عائلة القيصر وعثورهم عليها ، بعد انقضاء الحظر الذي فرضته السلطات السوفييتية عل العديد من اسرار تاريخها ، واصبح مشاعا للباحثين بعد انهيار الاتحاد السوفييتي .

ومن المثير حقا ان يثبت البحث الجديد عن الموضوع عن صحة دعوى السيدة الروسية بعد موتها ، وقد اعتمد البحث على المعطيات العلمية الحديثة وتطور وسائل البحث والمضاهاة ، وما اكثر اسرار وغوامض التاريخ الحديث ، بله القديم . غير ان مايثير الحزن ، ان ترى من خلال التقارير التاريخية المقدمة من تلك المحطات الفضائية ، الوسائل المتقدمة في حفظ الوثائق بانواعها ، ومنها وثائق لاتمر على البال مثل عينات من بقايا اجسام بشرية او ادوات مختلفة !! ، اما الوثائق الخطية والورقية فحدث عن البحر ولاحرج . اقول ان مايثير الحزن ، عندما تتذكر وثائقنا وما جرى عليها ! . وكانت القيادة الروسية الجديدة بعد ثورة اكتوبر قد قررت اعدام القيصر واسرته خشية ان يصل اليهم معارضي الثورة ، وتم الاعدام فجر ١٨ تموز ١٩١٨ حيث اطلقت عليهم النار من مسافة قريبة في قبو المنزل الي سجنوا فيه ، وكانوا قد اخذوا الى مدينة (ايكاتيرينبورغ)منذ ٣٠ نيسان الماضي ، وقيل عن تنفيذ حكم الاعدام ان القيصر سقط اولا واحدى بناته ، وعندما انتهى اطلاق النار تبين ان بقية البنات وولي العهد ، لايزالون احياء ، فما كان من فرقة الاعدام الا واجهزت ثانية عليهم . وهكذا انتهى حكم سلالة ال رومانوف التي حكمت روسيا منذ عام ١٦١٣ وهم من نبلاء موسكو ، والقيصر الاخير نيقولا الثاني قد حكم روسيا منذ عام ١٨٩٤ .

القيصر الاخير

اعدام اسرة القيصر سنة ١٩١٨

ولعل القليلين ، يعرفون ان شابا روسيا ادعى انه ابن قيصر روسيا الاخير ويدعى الكسي ، غير ان دعواه بثها في بغداد في عشرينيات القرن المنصرم . وقد نشرت جريدة البلاد البغدادية لصاحبها الاستاذ رفائيل بطي في يوم ٢٠ كانون الاول ١٩٢٩ ان دائرة التحقيقات الجنائية في بغداد ، عثرت على شخص روسي ، ادعى انه ابن القيصر ، وانه تمكن من انقاذ نفسه من الاعدام الذي طال اسرته على يد الثورة الروسية سنة ١٩١٨ ، غير ان الدكتور سندرسن (باشا) طبيب العائلة المالكة في العراق ، فقال ان نزيف دموي حاد اثار الاضطراب في الاوساط الحكومية ببغداد ، فقد كان الشخص الذي اصيب به شاب روسي في عنفوان الشباب .. وصل بغداد مع امرأة متوسطة العمر ، كانت مربيته منذ الطفولة .

ادعت تلك الامرأة ان ذلك الشاب هو ولي عهد القيصر الروسي ، وقد هربه المخلصون له الى خارج مدينة (كاتدبرغ) في روسيا البيضاء ، قبل اعدام القيصر والده وافراد عائلته في تموز ١٩١٨ . وبعد ان امضت الامرأة والشاب اربعة اعوام ، دخلا الى بلاد فارس ، ثم قطعا رحلة شاقة سيرا على الاقدام حتى وصلا الى بغداد ، املا في الحصول على اعتراف رسمي من الحكومة العراقية بولاية العهد لذلك الشاب . ويضيف سندرسن ان الشاب ادعى انه مصاب وراثيا بنزف الدم . وعند فحصه لم يجد ما يثبت ذلك . وكان في العراق يومذاك ، عدد من الروس البيض اللاجئين ، وقد استطاع هؤلاء بما كانوا من صور العائلة القيصرية ، ان يقتنعوا بصحة دعوى ذلك الشاب . غير ان الحكومة العراقية لم تكن راغبةيومئذ في اثارة المشاكل مع الدولة الجديدة في روسيا ، ولعدم اطلاعها على حقيقة الامر ، فقد تم اخراجه مع مربيته من العراق ، فغادر الى باريس .

وفي محاولة للبحث عن المزيد عن هذه القضية المثيرة ، لم نجد الصحافة العراقية قد اولت الموضوع اهتماما، ولم تشر اليه الا قليلا ! ، غير ان الصحافة العربية تابعته .كما يبدو.، واقدم في هذه المقالة مانشرته مجلة (الدنيا المصورة) المصرية في عددها ليوم ٢٢ يناير ١٩٣٠ (العدد ٣٦) ، ففيه تفاصيل جديدة وطريفة ، جديرة بالتوثيق والتحقيق .

تذكر المجلة ان جالية روسية تعيش في بغداد ، وبينها اشخاص كثيرون من الحزب القيصري البائد لا يزالون يحملون لقيصرهم المنكود واسرته المنكوبة ذكريات الولاء والاشفاق . وفي ١٠ كانون الاول ١٩٢٩ ، قبض البوليس العراقي على اربعة شبان اجتازوا الحدود الفاصلة بين ايران والعراق دون جواز واحدهم روسي والثاني الماني والثالث يوناني والرابع ارمني . وكان الشاب الروسي في الخامسة والعشرين من عمره وهو جميل الوجه اصلع الجبين ذو شعر ذهبي وعينين زرقاوين وذاهلتين تدلان على حزن عميق . وما كاد البوليس يحقق مع الفتية حتى انبرى هذا الفتى الروسي وافضى للبوليس انه ابن القيصر نيقولا رومانوف وولي عهد القياصرة . وقابل البوليس دعواه بالسخرية والنكران وارهقه بالسؤال والتحقيق ولكن الفتى اصر على قوله وراح يروي قصته في وثوق واطمئنان دون ان يجد البوليس فيها تناقضا او اضطرابا . ورآه الكثيرون من افراد الجالية الروسية فأجمعوا كلهم على انه صورة طبق الاصل من ولي العهد الذي قتله البلاشفة . وطبقوا صورة ولي العهد القديمة عليه فلم يكن ثمة فرق الا في السن .

وروى الفتى الروسيخبره وروى ما مر به من الاهوال والنكبات عندما جمع البلاشفة جموعهم وحملوا الاسرة المالكة على مغادرة روسيا وأخرجوها في حراسة رجالهم الى سيبريا ، فقضى الامير والداه وشقيقاته اياما طوالا في منزل تحوطه حديقة واسعة في تلك المدينة وحوله حرس شديد . وبقي معتقلا في ذلك المنزل وكان الجيش الابيض في تلك الاثناءقد جمع رجاله وزحف علة تلك المنطقة لتخليص الاسرة المالكة والتنكيل بجيوش البلاشفة الحمراء.. فأزدادت الرقابة على الاسرة ولم يطل الوقت حتى تدفقت جحافل الجيوش البيضاء على المدينة وسادتها الفوضى وعم فيها الذعر ودار القتل والقتال في شوارعها وحولها . وفي وسط هذه الاضطرابات المنكرة استطاع الامير ان يفر من المدينة متنكرا في ثوب فلاح روسي وفي صحبته الامير سرج يوسبوف واحد الاطباء . واستولى عليه بعد ذلك ذهول عميق اضطربت افكاره وهوى في لجة من النسيان فلم يعد يذكر ما جرى له في تلك الايام العصيبة ولما زالت عنه غشاوة الفزع رأى نفسه في منزل فلاح يأويه في احدى قرى سيبريا النائية . وعلم من الفلاح انه كان مصابا بخبل في قواه العقلية يفقده وعيه ويجعله يجهل نفسه . وقضى في رعاية هذا الفلاح عاما طويلا وفي سنة ١٩١٩ حامت حوله الشبهة وبلغ البلاشفة انه ابن القيصر السابق فارسلوا رسلهم يقبضون عليه وقادوه الى اعماق السجون يذيقونه مر العذاب .

وعاودته اعراض الخبل والجنون وقضى الايام بين ذلك يسترد رشده حينا ثم لا تلبث قسوة الالام التي انتهت حياته ان تشد الخناق عليه فتعيده الى فقد الوعي . ولما اشتد مرضه ارسل الى احد المستشفيات فاقام فيها حينا وهناك تعارف بابن قائد عسكري سابق من رجال القيصرية القدماء ، واتفق الشابان على الفرار سويا ودبرا امرهما على ذلك فافلحا في التسلل من المستشفى والخروج من المدينة حتى افلتا من خفير الحدود الروسية وعبرا نهراراكس بين الحدود ، وبينهما هما في الماء يقطعان النهر تنبه الحرس لامرهما فاطلقوا عليهما وابلا من الرصاص ..ومزق الرصاص جسد صاحبه ونجا الامير بحياته وصعد الى شاطيء النهر وهو لايدري ما حاق بزميله .

.. وما كاد يخطو الى الحدود الفارسية حتى قبض عليه البوليس وخشي ان يعترف بحقيقة امره فلا ينجو من الشر والاذى فانتحل اسم صديقه القتيل واقنع البوليس ان والده يقيم في تبريز . وما زال يسعى ويجادل ويدبر امره حتى اطلق البوليس سراحه اذ لم يجد في امره ما يدعو لسجنه او اعتقاله . وذهب الى تبريز وهو لايعرف فيها احدا وقاسى من آلام الجوع والمرض والبؤس اهوالا مريرة حتى ساعده الحظ واهتدى الى عمل في لوكندة رجل ارمني فاشتغل فيها خادما ..ولكن صاحب اللوكندة كان فضا غلبظا فلم يطل عهد خدمته عنده حتى انتقل الى عمل آخر وهناك تعرف باصدقائه الذين قدموا معه الى بغداد وهم الماني ويوناني وارمني ... وتصادقوا . وكان يغشى منزل كاهن ارمني في تبريز يطلب منه النصح والارشاد ويستمع الى اقواله ، وفي ذات يوم ابلغه الكاهن ان البلاشفة علموا بمقره واوفدوا عيونهم تتجسس اخباره وتعمل على اعادته الى روسيا للقضاء عليه .

واخبر رفاقه الثلاثة بذلك ، فاتفق الاربعة على مغادرة ايران الى العراق وفروا منها وعبروا الحدود فقبض عليهم البوليس العراقي .

تلك هي القصة التي رواها هذا الفتى الروسي فاثارت ضجة غير عادية بين الجالية الروسية في بغداد .. واطلقت الشرطة سراحه فآوى الى منزل شيخ روسي كريم يسكن في بغداد ، وقد ايقن هذا الشيخ ان الفتى ابن مليكه السابق فاحسن مثواه واكرم وفادته . ومن دعاوى هذا الفتى ان الاميرة اولجا ابنة القيصر لم تكن مع الاسرة المالكة عند نقلها الى سيبيريا ولايدري ما حل بها .. ويذكر انه اصيب بجرح شديد في اثناء انتقاله مع ابيه القيصر على ظهر احدى البواخر في رحلة الى احدى المدن . ..

ومع ان الحكومة العراقية اطلقت سراحه فانها قدمته الى المحكمة فحكمت عليه وعلى رفاقه بتهمة دخولهم العراق خلسة دون جواز . والقي القبض عليه ثانية واودع السجن وما يزال حتى اليوم مسجونا في بغداد بعد ان كان على ما يزعم وليا للقيصر في بتروغراد !!

× اعلنت الحكومة الروسية استنادا الى فحوص الحمض النووي ان بقايا العظام التي عثر عليها عام ٢٠٠٧ تعود فعلا الى الكسي نجل القيصر وشقيقته ماريا اللذين اعدما مع القيصر.

القيصر مع ابنائه ومنهم موضوع المقال

آثاريون في العراق

تالبوت (وليم هنري فوكس)

Talbot (William Henry Fox 1800 – 1877

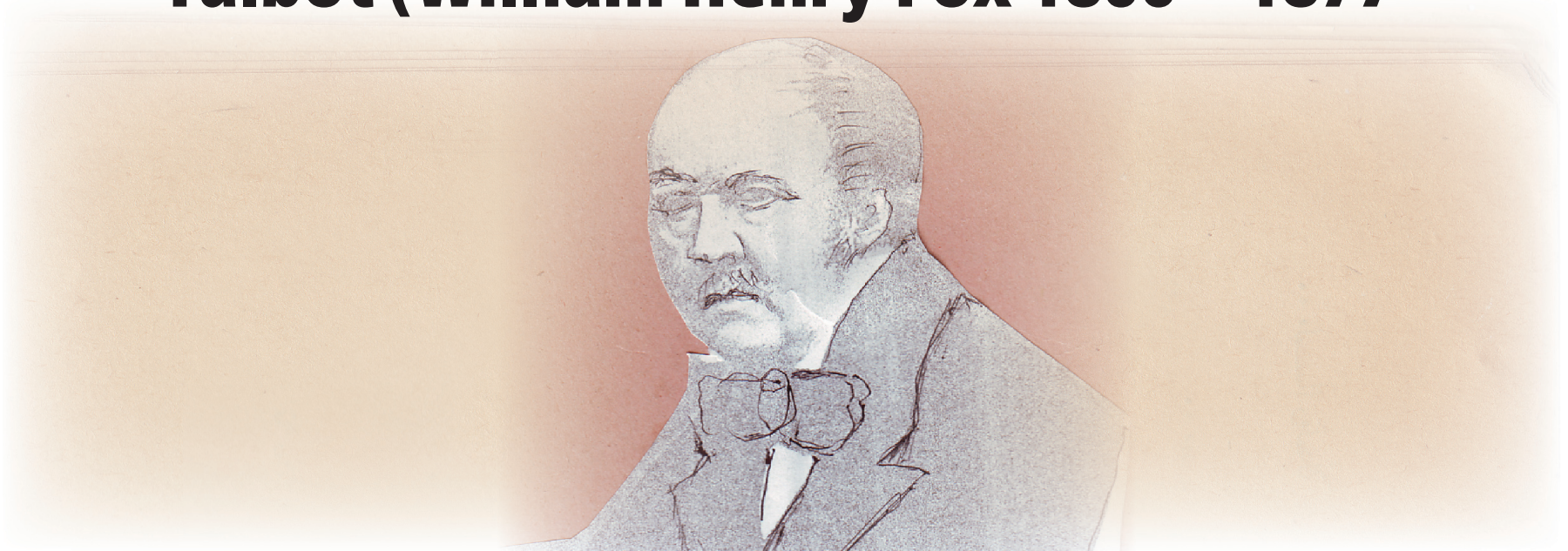

عالم انكليزي متعدد المواهب، اشتهر كونه عالما كيمياويا لغويا واثاريا، ورائدا من رواد فنون التصوير الفتغرافي، وقد اكتسب شهرة فائقة في هذه الميادين كافة.

ولد تالبوت في ميلبوري هاوس Melbury House قرب ايفرشوت Evershot من مقاطعة دورسيت Dorset في ١٨٠٠/٢/١١ وتوفي في المكان نفسه في ١٨٧٧/٩/١٧ في لاكوك ابي Lacock Abby تخرج في كلية هارو Harrow وكذلك في كلية التالوث (ترينتي كوليج Trinity College) بجامعة كامبرج Cambridge ثم حصل على درجة الماجستير (M.A) وذلك عام ١٨٢٥ ونشر دراسات وابحاث في علوم الفيزياء والكيمياء والرياضيات والفلك وعلم الاثار، حيث اقتحم هذا الميدان بكفاية واقتدار فانضم الى قافلة علماء الاثار، فكان تالبوت احد العلماء الاربعة الاصلاح من اعضاء جمعية اثار الكتاب المقدس، وكان دخل البرلمان البريطاني عامي ١٨٣٣ – ١٨٣٤ ، وقد غادره مفضلا الانصراف الى الدراسات العلمية.

وفيما يتعلق بشهرته في علم الاثار فان تالبوت كان المحرض على دعوة علماء المسماريات للاجتماع للنظر في مصداقية ادعاءاتهم بالوصول الى حل رموز الكتابات المسمارية الاشورية فاستجابت الجمعية الاسيوية الملكية لهذه الدعوة عام ١٨٥٧ واجراء الاختبار على وفق الطريقة الآتية:

أ- تهيئة نصوص من الكتابة المسمارية منقوشة على منشور من الطين ثماني الاوجه عثر عليه في اطلال مدينة الشرقاط (اشور القديمة) يعود الى الملك الاشوري تغلات بيلاصر الاول حوالي ١١٥٠ ق.م.

ب- وهنا يبرز دور تالبوت باعداده عدة صور لهذا المنشور وزعتها الجمعية على اربعة من علماء المسماريات المشاركين في هذا الامتحان وهم:

١- يوليوس اوبيرت (فرنسي) Julius oppert

٢- هنري رونصون (انكليزي) Henry Rawlinson

٣- الاب ادوارد هنكس (ايرلندي) Edward Hincks

٤- تالبوت (وليم هنري فوكس) (انكليزي) Talbot (W.H).

وفي ١٨٥٧/٥/٢٥ فتح سكرتير الجمعية نتائج هذه الترجمات التي جرت على انفراد وتمت مقارنتها فظهرت متطابقة تقريبا، وعلى اثر ذلك اصدرت الجمعية بيانا اعلنت فيه التوصل الى حل رموز الكتابات المسمارية وكان ذلك يوما مشهودا دخل التاريخ.

٣- شهرته في تطوير فنون التصوير الفتغرافي:

اجمعت المراجع التي تناول سيرة هذا العالم عبقريته ومواهبه المتعددة، وريادته وعدّته رائدا من رواد فنون التصوير الشمسي (الفتغرافي)، واشتهر امره في تطوير اعمال المخترع الفرنسي (لويس داغوير Daguerr Louis) المعروفة بطريقة (داغوير وتايب Daguerrotype)، وكذلك عمله في تطوير (الكالوتايب Calotype) وتتلخص الطريقة الاولى باستخدام الشريط (الفلم) السالب لاخراج عدة نسخ منه، وهنا تعد جهود تالبوت مضافة الى جهود داغوير انهما من الرواد الذين وضعوا اسس علم التصوير الحديث.

ولمزيد من التفصيلات، فقد نشر عام ١٨٣٥ بحثا وثق به اختراعاته واكتشافاته في فنون التصوير الفتغرافي وبصورة خاصة في الالواح السالبة وعلى وجه التحديد طبعات الرسوم على ورق التصوير الشمسي الحساس الذي كثيرا ما كان يظهر الصور داكنة ومنقطة Spotted تكثر عليها البقع.

وفيما يتعلق في استعمال الورق السالب Negative Paper وطبع عدة نسخ من الصور الموجبة Positives عن الورقة السالبة فكانت العملية تتخلص: بتهيئة الورق المشبع بالمواد: نترات الفضة اويوريد البوتاسيوم P.Lodide وحامض العفص Gallic Acid وحامض الاسيتيت Acetic Acid ومن هذه المواد والمركبات تتكون مادة سالبة حساسة للضوء تفوصل الى الورق الخاص بطبع الصور بواسطة غمسه بمحلول نترات الفضة + كلوريد الصوديوم + واضافة مادة (ثيو سلفات) التي اوصى بها العالم هرشل فكانت النتيجة ايجاد عامل مثبت للصورة الواضحة.

كانت تجارب تالبوت المختبرية الاولى عام ١٨٣٤ وعندما تحقق من النجاح نشر بحثه عن هذه العملية التي عرفت باسمه (تالبوتايب) التي فتحت الافاق واسعا الى ابتكار اساليب تقنية في تكبير الصور وتصغيرها ويكن ان نضيف الى جهود تالبوت اختراعة مادة بيكرومات الجيلاتين الحساسة للضوء او الجيلاتين المشبع بمادة بيكرومات، الذي استخدم فيما بعد في حفر الكلايش المصنوعة من الفولاذ والنحاس.

وقد بذل جهودا في تحسين العمليات التي سميت بـ (الكالوتايب) وعلى اثر ذلك منح براءة اختراع بهذا الفن من العمليات المختبرية سنة ١٨٤٠ وتقديرا لجهوده العلمية في مختلف المجالات منحته في عام ١٨٤٢ الجمعية الملكية البريطانية وساما رفيعا عن تجاربه في العملية التي سميت باسمه (تالبوتايب).

من آثار العراق

مـــاذا بـقـي مـــن نـــاظـــم الـــغـــزالـــي؟

بقلم مجدي فهمي
كاتب لبناني

الصورة الحلوة كانت ناقصة..
كانت اشبه بتلك الصور المصنوعة من اجزاء كثيرة من الورق المقوى، هم شاريها الاكبر ان يضع القطعة الى جوار الاخرى الى جانب ثالثة، حى تكتمل امام عينيه.
وقد وجدت صعوبة في ان اجمع القطع كي احصل على الصورة الكاملة، بالرغم من اني كنت على ارضه، بين قومه، وسط عشاقه ومحبيه – بقيت هناك اجزاء ناقصة وكان علي ان ابحث عنها واحدة بعد الاخرى، حتى اقدم الصورة كاملة – صورة الشادي، الذي كان يذوب عشقا، ويكاد يغني نفسه انغاما، وصوته ينسكب في الاف الاذان، لتسلل منها الى الاف القلوب – صورة ناظم الغزالي!

منذ ان احللت مقعدي في الطائرة الضخمة المتجهة من باريس الى بغداد، وناظم طيف او مجموعة اطياف، اشعر انها تصحبني – تحيط بي – الموسيقى العراقية التي قدمها ميكروفون الطائرة في الدقائق التي سبقت الاقلاع، كاد يمحوها مسجل الذاكرة عندي، ليقدم عوضا عن الكلمات التي اسمعها، تلك التي تعيش ابدا في وجداني.
عيرتني بالشيب وهو وقار
ليتها عيرت بما هو عار
على كثرة ما غنى ناظم، وعلى قلة ما سجل من اغنياته، تبقى هذه الكلمات اشبه بالاوفر ثورة او الافتتاحية للفن ذلك المطرب الذي كان يغني – فتشم في اغنياته رائحة التمر وشدى دجلة وتسمع بين نغماته رفات الحمائم وتنهدات العشاق.
صوته كاد يكون مجسما،قبل ان تعرف وسائل الارسال الحديثة، من ستريوفونيك وكادروفونيك وغيرها – فالعاطفة في قلبه والصدق في كلماته. كانت القوى من ان تخرج للناس في بعد واحد، او ميكروفون واحد!
كقصاص الاثر، في صحراء جافتها الانجم، كانت مهمتي، كنت احسبها سهلة، فاذا بها الصعوبة ذاتها – تاريخه غير مدون، فكان علي ان التقطه من شفاه الاصدقاء – وتراثه يكاد يكون غير مسجل، فاصبحت للمهمة ان اتقصى وان ابحث.
حتى صوره حيرتني.. قالوا لي عليك بالمصور "باك" في شارع سعدون وتوجهت اليه ليعتذر قائلاً:
– انت تطلب ما لم يسأل احد عنه من قبل ، طبعا صورت ناظم، ولكن كيف اجد صوره وسط عشرات الالاف من السلبيات.
وبحثت عنها لدى اكشاك الصحف وراء البلدية بلا جدوى.. ثم ..
ثم التقيت باصدقاء ناظم، واحدا بعد الآخر، وامكنني بعد لاي ان اقنع احدهم بان يعيرني بعضا من محتويات البومه الخاص، لانقلها واردها، وهكذا امكنني في النهاية ان احصل على الصورة الفوتوغرافية لخير من غنى الفن العراقي الاصيل، بعدها، عدت اواصل البحث، لاصل الى الصورة الانسانية لناظم الغزالي.
لمعت عيناه وراء عدستي نظارته السميكة، وانفرجت اساريره وهو يقول:
× تسألني عن ناظم الغزالي.. كان اخي، وصديقي وزميلي وايضا شريكي.
هكذا بدأ صديقه سالم حسين، استاذ آلة القانون وتاريخ الموسيقى في معهد الفنون العراقي، والرجل الذي تخصص في دراسة التراث الشعبي الغنائي وكان من اقرب المقربين الى ناظم .. وكان ايضا اول من امسك بالعود.. ليغني على عزفه شادي العراق الكبير.
ناظما الغزالي لم يكن مطربا .. كان ممثلا كوميديا..
هذه كانت المفاجأة الاولى، التي جاءت على لسان صديق الامس الوفي، فناظم الذي ولد في العام ١٩٢٢ لاسرة رقيقة الحال اكمل دراسته الابتدائية في مدرسة المامونية التحق بعدها بالغربية المتوسطة ومنها انتقل الى المدرسة الثانوية ، ولكنه لم يكمل مرحلتها فقد اثر ان يدخل معهد الفنون الجميلة فرع التمثيل.. وتخرج من المعهد في العام ١٩٤٨ وقد اصبح رسميا ممثلا!
انضم الخريج الجديد، الى فرقة كوميدية، تقدم من الروايات ما هو انتقادي كانت تعرف باسم "الزبانية".
كان بين اعضائها الحاج ناجي الراوي وفخري الزبيدي، وحميد المحل، ومحمد القيسي وجميل الخاصكي وحامد الاطرقجي.. واشتهر ناظم، بادائه لشخصية "رجوبة" وهو انسان اقرب الى السذاجة، يخرج لسانه ما في اعماقه.. وان كان يخرج بصعوبة، لان "رجوبة" كان وفقا لحدود الشخصية مصابا بثقل في اللسان فكانت العبارات تخرج متقطعة متباعدة.. على النحو الذي يعرف بالتهتهة!
هكذا بدأ ناظم.. واحدا من الزبانية، تلك الفرقة التي احدثت ايامها.. ضجة.. ولقيت نجاحا كبيرا.. وكان بين الروايات التي قدمتها "فتاح الفال". "الشوك" "تعال نتفاهم" "شقاوات بغدادية" و"شلتاغ".
ولكن كيف تحول ناظم من التمثيل الى الغناء.
للقاء الصديقين ناظم وسالم دخل كبير ذلك ذلك.. والحكاية بدأت في العام ١٩٤٣، وان لم تخرج الى الناس الا بعدها بسنوات يقول لي سالم حسين:
التقينا للمرة الاولى في العام ١٩٤٢، في اليوم العاشر من الشهر الاول على وجه التحديد، وهو تاريخ لا يمكن ان انساه لاننا تعينا فيه معا في الحكومة، ولما كانت الحرب ايامها ، مستعرة الاوار، فقد الحقنا معا، بصورة مؤقتة، في امانة العاصمة بغداد ، وفي قسم كان يعرف باسم مشروع الدقيق... كان بين مهامه توفير الطحين للجماهير.. وقد ظل ناظم في موقعه الاول، في حين نقلت انا الى قسم التفتيش على الملاهي.. وحرص ناظم، بعد ان توقفت العلاقة بيننا على ان يرافقني في جولاتي التفتيشية.
مفتش ضريبة الملاهي له دائما استقباله الحذر من قبل اصحاب الملاهي، هكذا جرت العادة، حتى يغض الطرف عن بعض المخالفات او يغمض العين، عما لا يدرج في الكشوفات.. كان سالم يحل ضيفا معززا هو وصديقه، فيجلس الاثنان الى مائدة منزوية ليتابعا البرنامج..
وبدأت اذن ناظم تتحول الى جهاز دقيق للالتقاط.. بدأت قدمه تتابع النغمة بالدق على الارض تحت المائدة.. ثم انتقل الامر الى نقرات من اصابعه على الطاولة..
يقول سالم:
– وصلنا الى مرحلة اكثر نضجا، كان ناظم يستمع ليلا الى الاغنيات الي تقدمها شهرزاد، وامال حسين وليلى حلمي وهن من المطربات المصريات اللواتي ذاع صيتهن في تلك الفترة: فيجيء الي في اليوم التالي لامسك عودا قديما فغنى ناظم واعرف انا بالرغم من انه لم يكن درس الغناء وللاننا لتعلمت العزف على العود.
مرحلة الاستقلال الفني
ترديد الاغنيات المصرية لم يكن الا مرحلة لم تدم طويلا ...
يقول لي الموسيقار العراقي الكبير روحي الخماش، المشرف الفني على معهد الدراسات النغمية العراقي، ومؤسس فرقة الانشاد، وهي من انجح الفرق الجماعية واستاذ الموشحات المعروف.
– في اعماق كل فنان ابرة، اشبه بابرة البوصلة، تهتز قليلا قبل ان تستقر عند الاتجاه الصحيح. وناظم وجد في الغناء العراقي القديم، في القريض والموشح اتجاهه الصحيح..
في تلك الفترة، في وائل العام ١٩٤٧ رأى سالم حسين ان يلتحق بمعهد الموسيقى: شعبة آلة القانون، حتى يجيد العزف على آلة تساعده في مصاحبة ناظم، الذي بدأ يحترف الغناء..
الفرقة التي صاحبت ناظم، في حفلاته التي كانت تذاع على الهواء مباشرة لان الات التسجيل لم تكن قد ذاع استعمالها بعد كانت مكونة من مجموعة من اشهر العازفين..
روحي الخماش كان يعزف على العود وسالم حسين يجري باصابعه على اوتار القانون وخضر الياس يتولى النفخ في الناي اما حسين عبد الله فكان ضابطا للايقاع.
روحي الخماش لم يعد يكتفي بالعزف لناظم تحول في فترات الفراغ الى استاذ له..
يقول الموسيقي العراقي الكبير: كنت ادرسه العزف على العود والصولفيج، وكان استعداده كبيرا لكليهما فما كان يحفظه الطالب العادي في شهر كان يتمه ناظم في اسبوع من هنا برز ناظم وتفوق ففتح ظل ينهل من نبع الدراسة الفنية حتى بعد ان ذاع واشتهر واصبح مطرب الصالات – الاول:
ناظم الغزالي اختار لنفسه الطريق الصعبة!
كانت الجماهير، في تلك الفترة، معتادة على "ادوار" ام كلثوم ومحمد عبد الوهاب فاذا بناظم ينشد المقامات ويغني الموشحات ويقدم "الباستة"، والتسمية الاخيرة اعجمية، تعني القصائد البسيطة واذا بالناس تولع باللون الجديد.. لان كلمات ناظم شقت طريقا سهلة الى قلوب النساء والنساء بالذات..
صوت ناظم كان مفعما بالرجولة
– ولكنها رجولة شقية في الغالب بسبب الحب.
– المرأة تحب انكسار القوي، هزيمة الجبار، استسلام المتمرد في مجال الحب.. لهذا احبت كل عاشقة الانتصار على الرجل الذي يزكيه

في نفسها غناء .. ناظم الغزالي!

– ولكن، كيف كان ناظم يغني الشعر القديم، بالفاظه الصعبة، بتلك البساطة وذلك الابداع؟

– يجيب سالم حسين على سؤالي فيقول:

– الصديق روحي كان يعلمه الشعر ايضا ويحفظه القصائد وكنت انا والزميل حافظ جميل ننتقي له القصائد المناسبة وكان يركز عند الحفظ على حركات الاعراب لان المستمع العراقي صعب جدا، ولا يتساهل ابدا في اي خطأ من هذا النوع.

وسارعت شركة للاسطوانات تحاول الحصول على حق طبع اغنيات ناظم.. وتحتكر توزيعها، ما فعلته شركة بيضافون وكايروفون من بعدها.. مع محمد عبد الوهاب.. حققته شركة تسجيلات الجقمقجي" التي حصلت وحدها على حق توزيع اغنيات ناظم على اسطوانات لان الكاسيت لم تكن قد عرفت بعد.

احلى ما غنى ناظم، غناه بعيدا عن ارضه.

ناظم كان مثله في ذلك مثل كل فنان يبغى الكمال، يخشى الا يصادف نفس النجاح خارج بغداد.. ربما لانه يغني لونا ينفرد به ولكنه في هذا لم يكن على حق، او هذا ما اثبتته له التجارب.. فقد تلقى سنة ١٩٦٣ دعوة من الشيخ مبارك الاحمد وزير الاعلام الكويتي دعوة رسمية للاسهام في احياء عيد استقلال دولة الكويت – فسافر الى البلد الشقيق على ان يبقى مدة اسبوع على الاكثر..

ولكنه بقى اربعة اسابيع.. امتدت بعدها الى سنة.. صادف ناظم من النجاح الجماهيري ما جعله يمدد الاقامة اسبوعا بعد آخر وقام خلال هذه الفترة بتسجيل ثمانية وعشرين اغنية للتلفزيون.. واثنتين وثلاثين اغنية للاذاعة.

يقول سالم حسين:

– هذا هو رصيد ناظم الفني الاكبر سجل في الكويت ولم يسجل في بلده وعندما اراد العراق بعد رحيل ناظم المبكر الحصول على نسخ من هذه الاغنيات المصورة والمسجلة، اعتذر وزير الاعلام قائلا البلد الذي لا يقيم فنانيه لا نعطيه شيئا.

عاشق.. ابداً

ناظم الغزالي المطرب ناجح.. لامع .. مسموع محبوب.

ترى ما هي حال ناظم الغزالي الانسان؟

عاشق ابدا!!

فاقد الشيء لا يعطيه.. لو لم يكن الشادي عاشقا، لما امكنه ان يحرك اوتار العشق في قلوب الاف المستمعين.. القصص التي قيل ان ناظم عاشها، اقل كثيرا من القصص التي عاشها فعلا.. وبطلة القصة الكبرى هي تلك المطربة العراقية الكبيرة سليمة مراد التي كانت تنادى سليمة باشا، وهي يهودية الاصل.

علاقته بها، كانت في البداية علاقة مطرب ناشيء بفنانة متربعة على عرش الرسام والصحفي حميد المحل، وهو من زملاء ناظم في فرقة الزبانية ومن اصدقائه المقربين، يتحدث عن مرحلة البداية فيقول:

– كان ناظم يمر معي ذات ليلة بالقرب من ملهى كانت تعمل به سليمة وكان صوتها يملا الليل الهاديء نغما حلوا فاذا به يقول لي: يا هناه من قدر له ان يتزوجها فسوف يسعد بالصوت الملائكي ليل نهار.

يبتسم حميد ويقول:

– القدر ابى الا يحقق له واحدة من امانيه القليلة الكبيرة، فقد تزوجها فعلا .. وهو لم يتزوج المرأة بل تزوج.. الصوت اكثر من سبب دفع بناظم الى الزواج من سليمة رغم اختلاف العقيدة فهو مسلم وهي يهودية ورغم التفاوت في السن فقد كانت تكبره كثيرا.. لعل اول هذه الاسباب انه انما اقترن بها ليتعلم منها اسرار الغناء، وكانت على علم بالكثير منها.. وحتى تكون بطاقته الى الصالونات الكبرى.. فقد دخل بواسطتها اكبر البيوتات.

اما القول بانه تزوجها طمعا لمالها، فهو مردود.. لانهما عندما ارتبطا كانت سليمة قد بددت جل ثروتها.

في لبنان اخيرا

كان يخشى بيروت ...

اكثر من دعوة جائته للغناء في لبنان، اعتذر عنها جميعها، ربما لان لبنان في ذلك الوقت كان متعلقا بلون معين من الغناء قطباه سميرة توفيق وفهد بلان.. هو الغناء البدوي..

وبالرغم من هذا امكن اصدقاؤه ان يقنعوه بدخول لبنان ولو على سبيل التجربة..

كان ذلك صيف العام ١٩٦٣ عندما تقدم مستثمر قاعة فندق طانيوس الى المطرب العراقي الكبير، بعرض من الصعب ان يرفضه، كما تقول تلك العبارة الشهيرة في رواية "الاب الروحي" او "العراب" للكاتب ماريو بوتزي..

ونجح ناظم الغزالي في عالمه نجاحا كبيرا، كان يطغى على سميرة وفهد معا.. واحب لبنان لانه اعطاه المزيد من البريق.. فسافر الى اوروبا فترة للراحة تصحبه زوجته، ثم عاد الى لبنان ليوسع من دائرة نشاطه، فقد كون في بيروت مع القناة "١١" والشاعر عبد الجليل وهبي وصديقه سالم حسين، شركة لانتاج الاغاني وتوزيعها.

وفي لبنان ايضا مثل في السينما لاول واخر مرة .. فقد تعاقد معه محمد سلمان على تقديم اغنيتين، في فيلم استعراضي ملون، كان عنوانه "بيروت في الليل".. وكانت الصداقة قد ربطت بين الاثنين منذ ظهر ناظم قبلها بسنوات، كواحد من افراد الكورس وراء سلمان وهو يغني في فيلم صورت بعض مشاهده في بغداد وهو "ليلى في العراق".

الرحلة الاخيرة

انهى ناظم اعماله العديدة في بيروت وقرر ان يعود لفترة قصيرة الى وطنه لينهي بعض الاعمال التي تعاقد عليها.

في جناحه بالفندق قال لزوجته:

– سليمة، نعود غدا الى بغداد بالسيارة وردت الزوجة..

– عد انت، وسوف الحق بك في اليوم التالي بالطائرة، فلا قدرة لي على احتمال متاعب الطريق.

يقول سالم حسين:

– في فجر يوم ٢١ تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٦٣ ركبت الى جوار ناظم في سيارته الجديدة الانيقة، التي يقودها بنفسه، تركنا فندق نورماندي المطل على البحر في منطقة كاراكاس في الساعة الخامسة صباحا، على وجه التحديد، ووصلنا الى بغداد عند منتصف الليل، وقد تواعدنا على تناول الطعام معا في اليوم التالي، اذ دعاني للغداء في بيته..

ويقول الصديق: والدموع قطرات بدأت تندي زجاج نظارته:

– اتصل بي ناظم في الساعة العاشرة ليعتذر عن موعدنا، لانه شعر بالتعب بعد المشوار الطويل، على ان نؤجل اللقاء لموعد آخر.

يضيف سالم، وقد نزع نظارته، ليوقف سيل الدموع.

– لم ارد بعدها.. ففي العاشرة والربع، اتصل بي الطبيب عزيز شلال عزيز وقال لي اسوا جملة صكت اذني حتى اليوم، ناظم مات!

كانت صدمة.. كارثة.. مصيبة.. فاجعة.. كل هذا واكثر وعندما وصلت سليمة الى المطار. وجدت زملاءه يقدمون لها العزاء، فسقطت على ارض المطار فاقدة الوعي! مات ناظم..

كيف يموت من كان قبلها بساعات يملأ الدنيا احلاما..

شكوا في امر الوفاة.. قالوا لا بد ان احدا قد سممه، او من تكون غريمة ارادت الانتقام..

وكان لابد مما "ليس" عنه بد.. ان تشرح الجثة!

ما ابشعه من مصير، ان يشق المبضع الحدث، لا بحثا عن علة يشفيها بل تنقيبا عن سبب الموت.

شرحوا جثة ناظم، تماما كما فعلوا بمارلين مونرو بعدها بسنوات وهو نفس المسير الذي لقيه الفيس بريسلي في العام الماضي، المبضع مزق "الجثث" المحبوبة ليطمئن الناس.. ولعله افلح.

وجاء في تقرير الطبيب الذي تولى المهنة الكريهة، سبب الوفاة تخثر سد صمام القلب، الوفاة اذن كانت طبيعية.

وشيع جسد ناظم الغزالي الى مثواه الاخير في مقبرة متواضعة بمدافن الشيخ معروف.. وقف حول تابوته الاصدقاء يبكون والمعجبون ينتحبون لم تقدم الفنان الكبير القبنجي : ليقول قولة وداع، وقوله تكريس ، ناظم لن يصل احد لحدك !

انطفأ السراج المنير في بداية الليل.. ذويت الشعلة، والمشوار امامها كان طويلا.. و.. السؤال يلح

× ماذا بقي عن ناظم الغزالي..

الجواب باختصار..

– القليل.. بل القليل جدا.

الشجرة المعطاءة للفن، كانت ضنيئة بالزهر.. فناظم لم ينجب ولدا او بنتا، لم ينجب على الاطلاق.. وزوجته توفيت بعد ان عاشت في عزلة من بعده في اليوم الاول من الشهر الاول من العام ١٩٧٤ وبيته المتواضع قرب مستشفى دار السلام، سكنه اناس اخرون

حميد المحل يقول:

– كان سيء الحظ عامة ، اذا ما رام امرا لم يحققه، واذا ما بلغ قمة ، سارع يهبط عنها.. كانت امنيته ان يصبح ضابطا ولكنه سقط في الكشف الطبي لقصر قامته، وكان امله ان ينجح كموظف، ولكن الموردون خلطوا الدقيق الذي كان يسلم اليه بنوى البلح المطحون، فلما ابلغ عنهم فصل من الوظيفة.. واصبحت امنيته ان يغني فلما وصل الى القمة.. مات!

يضيف زميل الامس في فرقة "الزبانية".

– هناك امنية اخرى عاشت بين حنايا ناظم ولا يعلم بها احد الا بطلاها.. التقى في باريس بالمطربة وردة فاحبها.. وكان مقدرا للحب ان يصل بهما الى الزواج لولا اكتشاف سليمة للقصة، وتدخلها لانهائها على عكس ما كان يتمنى.

مرة ثانية ماذا بقي من ناظم؟

– اغنيات لا تعدو الستين، نسخها الاصلية في الكويت وليس وطنه، واسطوانات لا تزيد عن العشرين في محلات الجقماقجي وبضعة ماتار من شريط سينمائي هو "بيروت في الليل".

اما الثروة فلم تزد تركته على الفين وخمسمائة دينار، الم تصيبه من رأسمال الشركة التي كونها في لبنان، وقد الت الى اخت له تعيش بعيدا عن الاضواء..

هذا هو كل ما بقي من ناظم الغزالي.. القليل.. بل اقل من القليل.

اما الذي بقي له فهو شيء يتمناه الكثيرون وقلة هي التي تحصل عليه.. بقي له الخلود..

والخلود هو الاكليل الدائم الخضرة على مثوى الذين اعطوا اكثر مما اخذوا..

من مجلة الصياد / 1 نيسان 1979

ناظم الغزالي مع القبانجي

التقرير النهائي للتحقيق في مصرع عبد السلام عارف

من الصور الاخيرة لعارف في البصرة

شكلت الحكومة مجلسا تحقيقيا برئاسة العقيد الركن زيدان احمد زيدان صباح يوم الخميس الرابع عشر من نيسان ١٩٦٦ لدراسة واجراء الكشف على محل الحادث، وتوصل المجلس الى القرار التالي:

بعد دراسة وتدقيق ما ورد بافادات الشهود وما ظهر للمجلس من جراء الكشف على محل الحادث والتفتيش والتدقيق لهيكل الطائرة المحترقة والاطلاع على كشف المهندس المختص، اتصح للمجلس ما يلي:

١- في مساء يوم ١٩٦٦/٤/١٢ اصدر العميد زاهد محمد صالح المرافق الاقدم للسيد رئيس الجمهورية امرا الى النقيب الطيار خالد محمد نوري يتضمن حركة الطائرات الهليكوبتر الثلاثة من البصرة الى القرنة على ان يصلوها قبل الساعة الثالثة من بعد الظهر يوم ١٩٦٦/٤/١٣ لغرض نقل السيد الرئيس وحاشيته من القرنة الى البصرة بعد انتهاء زيارته التفقدية لقضاء القرنة.

٢- في الساعة ١٢١٥ اقلعت الطائرات الثلاث من مطار البصرة بعد ان زود طياروها بالتقرير الجوي من سيطرة المطار اصوليا، متوجهة الى القرنة وعند وصول الطائرات مدينة القرنة هبطت في ساحة الالعاب وفي المكان المعد لنزولها سلفا.

٣- وبعد انتهاء الاحتفال توجه السيد الرئيس الى طائرة الهليكوبتر المرقمة ٥٩٨ والتي بقيادة قائد التشكيل النقيب الطيار خالد محمد نوري، واقلعت في الساعة ١٨٥٠ واعقبتها الطائرتان الاخريان.

٤- وبعد مرور سبع دقائق واجهت طائرة السيد الرئيس مطبات هوائية شديدة Bumpy مع غبار معلق في الجو مما جعل مجال الرؤية معدوما وادى الى تغير اتجاه الطائرة مما جعل قائد الطائرة يجد صعوبة كبيرة في السيطرة على طائرته، ونظرا لان الطائرة انحرفت عن خط سيرها المرسوم الى منطقة صحراوية لا توجد فيها اي اشباح ارضية او دلائل انارة مما سبب انعدام الرؤية كليا.

اصبحت الطائرة بحالة غير اعتيادية وبعد فقدان الطيار الامل بالدلائل على مكانه بسبب انعدام الرؤيا وعدم وجود الاشباح الارضية وتاثير الطبات الهوائية الشديدة استدار الطيار محاولا العودة الى القرنة محاولة منه للحفاظ على ارواح ركاب الطائرة.

وفعلا استدار الى اليسار ولكن اشتداد تاثير المطبات الهوائية وانعدام الرؤيا كليا جعل قيادة الطائرة في ذلك الاتجاه مستحيلا. وعاد الطيار ثانية بالاستدارة الى الجهة المعاكسة مستعيدا اتجاهة السابق. وفي اثناء دورانه صدافته طبة هوائية قوية جدا ادت الى فقدان السيطرة على الطائرة وارتطامها بالارض اثناء دورانها الى اليمين، وهذا ادى الى اصطدام مقدمة الطائرة وعجلتها اليمنى والريش الرئيسية بالارض في اللحظة الاولى، ومن ثم مالت الى الجهة اليسرى وارتطمت عجلتها اليسرى بالارض.

ومن جراء الارتطام انفجرت خزانات الوقود الرئيسية الكائنة في ارضية الطائرة، ومن جراء تدفق الوقود على المحركات الساخنة حدث الحريق الذي ادى الى انفجار الطائرة واحتراقها، ولم يحصل بصورة قاطعة اي انفجار او حريق او عطل بالطائرة منذ اقلاعها حتى اصطدامها بالارض. لذا قرر المجلس التحقيقي:

أ- اعتبار الحادث قضاء وقدراً وبدون تقصير من احد.

ب- اعتبار استشهاد كل من الضباط والمراتب المدونة اسماؤهم ادناه اثناء الخدمة ومن جرائها:

١- المشير الركن عبد السلام محمد عارف
٢- اللواء عبد اللطيف الدراجي
٣- العميد زاهد محمد صالح
٤- العميد جهاد احمد فخري
٥- العميد عبد الهادي الحافظ
٦- الرائد عبد الله مجيد
٧- النقيب الطيار خالد محمد نوري
٨- ن. ض براد كريم حميد
٩- العريف محمد عبد الكريم
١٠- السيد مصطفى عبد الله
١١- السيد محمد الحياتي

العضو
المقدم الطيار الركن
خالد حسين ناصر
الرئيس
العقيد الركن
زيدان احمد زيدان
العضو
الملازم المهندس
عبد الله الصيام
العضو
الملازم الاول الحقوقي
سامر عزارة المعجون
العضو
الرائد الطيار الركن
علي عواد

وشكلت وزارة العدل في اليوم نفسه لجنة قضائية تحقيقية برئاسة القاضي سالم محمد عزت، رئيس استئناف منطقة البصرة، والقاضي عبد الوهاب الفضلي حاكم تحقيق البصرة، والنقيب عبد القادر المعيني، من القيادة العسكرية، وكامل عبد علي مدير امن البصرة، وقامت اللجنة بمشاهدة محل الحادث واستمعت الى افادات الشهود الذين بلغ عددهم (٤٠) شاهداً وقدمت اللجنة تقريرها الاولي الى رئيس الوزراء في يوم ٢٣/ نيسان وجاء فيه.

لم يثبت للهيئة من سير التحقيق والخبراء الفنيين عند الكشف وجود مواد تخريبية كالقنابل الموقوته وغيرها، وسيتأيد ذلك عند التحليل الكيمياوي للاجزاء التي ارتاى الفنيون اخذها من حطام الطائرة.

وقد تبين للهيئة ان هناك بعض العوامل، مما قد يسمى اهمالا او تقصيرا يقع على جهات متعددة منها:

١- عدم وجود طيار مساعد في كل طيارة من الطيارات الثلاث، وعلى الاخص طائرة السيد رئيس الجمهورية.

٢- عدم وجود آلة ايجاد الاتجاه (راديو كومبس) الذي يسهمل للطيار معرفة طيرانه.

٣- لم يقدم طياروا الطائرات الثلاث، او قائد تشكيلها، باستلام تقرير الاحوال الجوية للمنطقة قبل اقلاعها من القرنة، بل اكتفو باستلام ذلك بعد لحظات من طيرانهم، وهم في الجو، وبما استلمه قائد التشكيل صباح يوم ١٣ نيسان عند اقلاعه من البصرة الى القرنة، وكان في احدى فقرات التقرير للاحوال الجوية الذي اعطى من مطار البصرة لقائد التشكيل ما يلي: احتمال حدوث هبات هوائية تتراوح سرعتها من ٢٠ – ٢٥ عقدة.

٤- لم يقم مطار البصرة المدني بدوره باعلام المسؤولين في القرنة او الطيارين انفسهم عن الاحوال الجوية المتوقع حدوثها، رغم علم دائرة السيطرة في المطار، بان طائرات المغفور له رئيس الجمهورية وبقية المدعوين ستصل حوالي الساعة السابعة الى مطار البصرة!

٥- عدم وجود جهاز اعطاء الاتجاه للطيارين الفاقدين اتجاههم في الاجواء العراقية في مطار البصرة!

وختمت الهيئة التحقيقية تقريرها الاول المرفوع الى رئيس الوزراء قائلة:

"هذه خلاصة ما تبين للهيئة على الوجه المتقدم، وستقوم الهيئة بعد ورود التقرير النهائي عن نتيجة التحليل الكيمياوي من الخبراء الفنيين برفع اوراق القضية الى الجهات الرسمية المختصة.

وبعد مرور ما يقرب من الشهر ، كانت الهيئة التحقيقية قد انهت تحقيقها الموسع في حادث الطائرة ومصرع رئيس الجمهورية وجاء في تقريرها القول:

وقد ظهر للهيئة التحقيقية مجددا وبعد استكمال التحقيق، وبالاضافة الى ما ورد في تقريرها المبدأي السابق، ومن تقرير مدير المعهد الكيمياوي المرقم ١٢٤٣ والمؤرخ في ١٩٦٦/٤/٢٥ المعنون الى رئاسة اركان الجيش .. ما يلي:

١- ان الطائرة لم تحترق بالجو، انما جرى احتراقها بعد اصطدامها على الارض، وحصول الاحتراق نتيجة تسرب وقود الطائرة الى محركاتها وهي في حالة الاشتعال.

٢- لم يعثر بين حطام الطائرة على اثر مادي، يدل على وجود قنبلة توقيتية او مفرقع بدل على حصول انفجار مدبر.

ويختم سالم محمد عزت، رئيس الهيئة التحقيقية كلامه قائلا: لقد اتضح لنا من جراء التحقيق، ان الحادث كان قضاء وقدرا، ولم يتسبب عن تخريب واضح او مقصود، هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى فان هناك تقصيرا تسبب عن غير قصد في حدوث هذه المأساة، والتحقيق لايملك تحديد وجود هذا التقصير، ومهمتنا انتهت عند هذا الحد. وهكذا حفظت قضية مصرع رئيس الجمهورية ولم يتهم بها احد.

جريدة البلد / نيسان 1966

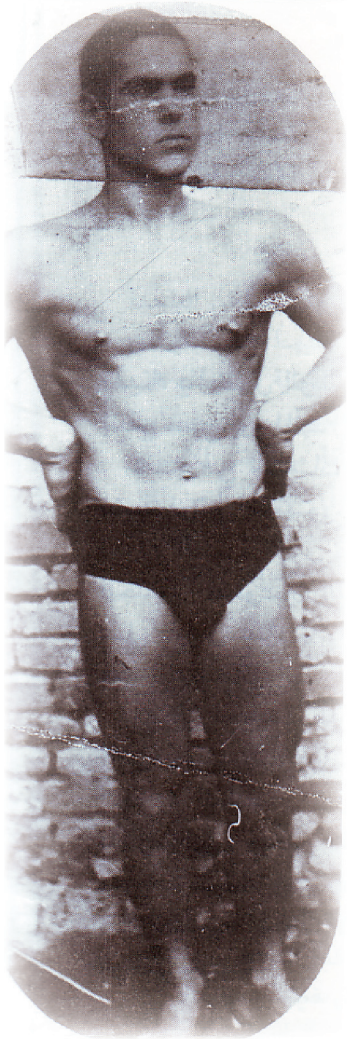

عوسي الاعظمي.. او جاسم محمد طه!

70 سنة رياضة وتدريب!

جميل الطائي
باحث في التاريخ الرياضي

رغم انه بلغ السبعين من عمره او ربما تجاوز هذه السن إلا انه اعتاد النهوض مبكرا كل يوم ليؤدي تمارينه الرياضية الصباحية ساعة كاملة. اما في الصيف فيضيف اليها سباحة لمائة متر، ويبتسم عوسي قائلا: قبل ان تسألوا اجيبكم، لم اتعب، واعتقد ان السر يعود الى انني لم ادخن او اشرب الخمرة في حياتي.

× وعوسي الاعظمي بطل الزورخانة، والمصارع المخضرم ولد عام ١٩١٣ ويقول عن اسمه: انه مجرد كناية اطلقتها عليّ جدتي حينما اوشكت على الموت في طفولتي، وقد نجوت باعجوبة، اما اسمي الحقيقي فهو جاسم محمد طه، ولكن من يعرفه بهذا الاسم؟ حتى ابناءه لايعرفون في المنطقة والمدرسة والعمل الا بابناء عوسي، وهذا ما ينسحب على الابطال العالميين الذين تصارع معهم واشهرهم "الهركريمر" حيث يسمونه "مستر واسي".

زورخانات الشط

× ضعف ذاكرة عوسي لم تمنعه من استذكار الاحداث، ولعله يتذكر القديمة منها اكثر من الحديثة، فيقول عن صورة ثبت عليها انها التقطت عام ١٩٣٦ انها قبل حوالي عشرة اعوام..! بدأ لهفته نحو الرياضة مذ كان عمره ثمانية اعوام حيث علمه ابوه السباحة اثناء فراغه من عمله كبائع حطب، ثم اخذ يخرج مع اقرانه الى الشط القريب من محلة سكناه "الاعظمية" للسباحة واللعب، وهناك يتحلقون حول (زورخانات) الشط، التي تخطط على الرمل في الجزرات ويرقبون المتصارعين في العابهم وحركاتهم الرياضية ثم في تصارعهم على ايقاعات وغناء بغدادي شجي.

× يقول الحاج عوسي – ولدت هذه الصور الجميلة رغبة كبيرة عندي وعند جميع اقراني بدانا فعلا نمارس اوليات المصارعة على شاطئ النهر ونتلهف لسماع اخبار ابطال (الزورخانات) المعروفين انذاك مثل عباس الديك وحجي بريسم واسطه غني وصبر الخطاط.

زورخانات بغداد

× ولما كانت (زورخانات) الشط الحديث مازال للحاج عوسي ملاعب موسمية ترتبط بفصل الصيف، علاوة على انها غير نظامية، فهناك قواعد واصول ومواصفات (للزورخانة) اخذنا نتساءل عن اماكن تواجد الزورخانات، وعثرنا على واحدة قريبة منها حيث عبرنا الجسر الخشبي الذي يربط الاعظمية بالكاظمية واتجهنا الى خان (كعبوري) لندهش بزورخانة فاضل التميمي، وكانت دائرة محفورة بعمق متر تحت الارض تحيطها كراسي وتخوت للمتفرجين، ومقابل عشرة فلوس يسمح لنا بالدخول في القاعة مع الحصول على قطعة حلوى "لقم" وبدأ امامنا الصراع البطولي وكنا ننتصر لهذا ونصفق لذاك، انها صور مشجعة وذكريات بديعة، بعدها اخذنا نتردد على (زورخانات) بغداد، وتعلمت المصارعة على يد بعض الابطال مثل عباس الديك ومجيد ليلو حيث اخذت ادلك لبعضهم واتعلم المسكات والاصول في المواجهة مع البعض الاخر، واخذ اسمي يتردد في الثلاثينات ضمن (زورخانات) بغداد والتي توزعت في محلة (الدهانة) التي يملكها المصارع عباس الديك، وفي الصالحية "نفس مكان الاذاعة والتلفزيون حاليا" وكان يملكها المصارع محمد الخياط و(زورخانة) (جامع المصلوب) و(زورخانة) خان كعبوري.

× يتطرق عوسي الاعظمي الى كيفية بناء الزورخانة فيقول: انها تحفر تحت الارض على شكل دائري، ثم تجلب كميات كبيرة من الحصران والشوك والقصب، لتغطي على شكل طبقات، ثم تجلب طبقة من الزميج "رمل الشط" وتعطي ثانية، لتصبح الارض لينة مثل الاسفنج.

× ويتحدث عن تقاليد اللعبة قائلا: في البدء تتلى آيات من القرآن الكريم، ثم يقوم اللاعبون بتقبيل ارضية (الروزخانة)، لان لها حرمة ومكانة عزيزة في نفوسهم بعدها تبدأ على ايقاعات الطبلة وغناء المقام تمارين الاحماء، لعب الشناو على تخت خشبي، وحركات بمختلف الاتجاهات فتبدأ المصارعة بتحكيم احد اللاعبين القدامى.

لعبة الديك مع كريمر

× وتعتبر لعبة عباس الديك مع (الهر كريمر) المصارع الالماني المعروف، اشهر لعبة شهدتها بغداد حيث جرت على ساحة المتوسطة الغربية وبحضور حشد كبير من المتفرجين وكنت وقتها ادلك لكلا المتصارعين، فما ان تمكن المرحوم عباس الديك من الوثوب على (كريمر) حتى اخذت الجموع تهتف وتطلق الرصاص وخرجت في حينها تظاهرة كبيرة!!

× ويقول عوسي الاعظمي... ونتيجة مشاكل وخلافات، تقرر غلق (الزورخانات) فانتقلنا للعب المصارعة الحرة واصبحت من المصارعين المعروفين، حيث اخذت اقف في الثلاثينات الى جانب صادق الهندي وحساني محمود ومجيد ليلو وهادي محمد وجهاد بهاء الدين.

افتتاح النادي الاولمبي

× في عهد الملك غازي تم افتتاح النادي الاولمبي "مركز شباب الاعظمية حاليا" فكان حدثا رياضيا كبيرا وعينت انا والمرحوم مجيد ليلو مدربين في النادي براتب شهري قدره ستة دنانير وكان حكمة سليمان مديرا للنادي ولا انسى انه كان من المشجعين للرياضة، وكان يصرف لنا من جيبه الخاص فوق رواتبنا، وتسلم ادارة النادي بعده خليل كنه ثم ناظم الطبقجلي، واخذنا نقيم العاب المصارعة ويحضرها الوصي عبد الاله ورشيد عالي الكيلاني وغيرهما، وما زلت اذكر اللعبة التي خضتها عام ١٩٣٨ مع اللاعب الهندي علي محمد من الجيش البريطاني في ساحة الكشافة وبحضور الوصي، فتمكنت من الفوز عليه وسط تشجيع الجماهير لي، وقد بعث لي عبد الاله عشرين دينارا كهدية لفوزي هذا. في النادي الاولمبي اخذنا ندرب جيلا جديدا من المصارعين مثل الدكتور اموري اسماعيل ورحومي جاسم وكريم رشيد، لكنني بقيت بطل العراق في المصارعة الحرة والرومانية.

بطولات خارج القطر

× ويسافر عوسي الاعظمي الى الخارج على حسابه ليلتقي بالمصارعين السوريين واللبنانيين والاتراك والبلغار يقول: التقيت بالبطل العالمي اللبناني زكريا شهاب عام ١٩٥١ فغلبته بالمصارعة الحرة، لكنه غلبني بالرومانية وفي تركيا لعبت مع المصارع محمد اوغلي الذي صرعته ايضا، وكانت جولتنا مناسبة للتعرف على مصارعين من بلدان عديدة، حتى في بلغاريا تصارعنا مع مصارعين معروفين انذاك لم اتذكر اسماءهم، وكان معي في هذه الرحلة عدد من المصارعين العراقيين منهم قاسم عبد الباقي ويوسف العبيدي واخرون، وحينما عدنا الى بغداد قمت بتنظيم اول بطولة في السباحة وعلى حسابي الخاص، حيث اعلنت في الصحف عن تنظيم بطولة للسباحة تبدأ من منطقة الراشدية، وساعدني بذلك الصحفي عبد الرزاق نعمان المحرر في جريدة الزمان انذاك وشارك فيها سباحون عديدون منهم علاء الدين النواب من الكرخ "بطل السباحة المعروف" وجبار علي من الفضل وسباحون من مناطق مختلفة من بغداد.

في مصر استقبلنا محمد نجيب

× في عام ١٩٥٢ قام عوسي الاعظمي برحلة اخرى الى الاقطار العربية، انتهت بمصر، حيث التقى بالمصارع المصري ابراهيم مصطفى، الذي ذهب بعوسي الى النادي الاهلي، وتعرف فيه على اشهر المصارعين المصريين ويقول الحاج عوسي: لقد استقبلنا في هذه المرحلة محمد نجيب، رئيس مجلس قيادة الثورة في مصر انذاك، وامر بان نقيم على حساب الحكومة المصرية، ونظمت لنا جولات سياحية في مختلف انحاء مصر، وبالفعل اقمت مع زملائي المصارعين العراقيين عشرين يوما هناك اقيمت لنا خلالها مسابقات على حلبة النادي الاهلي، واستفدنا كثيرا بالتعرف على المصارعين المصريين الذين كانوا ماهرين فعلا.

× وفي السبعينات ينتقل عوسي الاعظمي الى العمل في الكلية العسكرية كمدرب للمصارعة فيها، وليخرج اجيالا اخرى من المصارعين بينما يستمر في ممارسة العابه في المنطقة الشعبية التي عاش فيها.

× حيث التقينا السيد ياسين عبد الوهاب احد المهتمين بالرياضة، ومن تلامذة عوسي قال لنا: لقد تعلمنا من الحاج عوسي تقاليد واخلاقيات رياضيي الامس الطيبة مثلما تعلمنا منه الاصول الرياضية الصحيحة، وكانت عبارات مخاطبته لنا "ابن الاخ" تعبر عن اعتزاز الحاج عوسي بان يلقن ما تعلمه عبر اكثر من خمسين عاما لكل الناس.

× اما عوسي اليوم فما زال يمارس الرياضة وان كان متقاعدا، فقد اصر على العمل كمنقذ في مسابح امانة العاصمة بعد ان قضي هذا الشوط الكبير من عمره في (الزورخانة)، والمصارعة وشتى الالعاب الرياضية ظل خلالها وعلى مدى ثمانية عشر عاما متواصلة بطل العراق في المصارعة الحرة والرومانية.

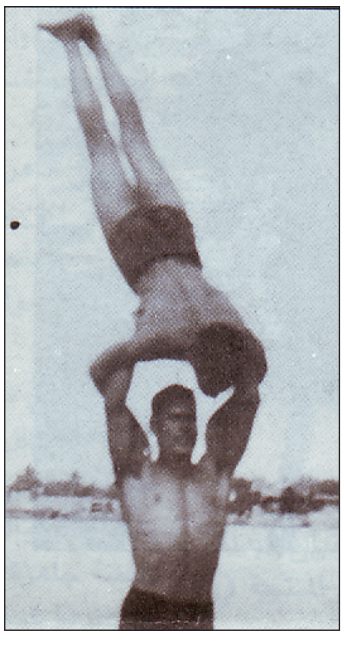

غلاف مجلة (حياة) الاميركية حيث تبدو في الصورة خطيبة الملك فيصل الثاني

خطيبة الملك فيصل الثاني الأميرة الحزينة فاضلة

جواد الرميثي

في صباح ١٤ تموز ١٩٥٨، كانت الاستعدادات قائمة في مطار (يشيل كوي) باستانبول لاستقبال الملك فيصل الثاني . وكان رئيس الوزراء عدنان مندريس على رأس الوفد الذي كان ينتظر وصول الملك العراقي . إلا أن الجميع فوجئوا بوقوع الانقلاب في العراق .

لم تعرف عائلة الأميرة (فاضلة) خطيبة الملك فيصل ، تفاصيل الأحداث المروعة للانقلاب إلا بعد أيام. حيث علموا بمصير الأمير عبدالاله ورئيس الوزراء نوري السعيد والملك فيصل الذي كان يبلغ الثالثة والعشرين من عمره ، والذي أصيب بجروح بليغة ، وظل ينزف حتى الموت

كانت العلاقات العراق مع تركيا في أوج ازدهارها. وكانت قصة خطوبة الملك فيصل الثاني للأميرة فاضلة حفيدة آخر السلاطين العثمانيين وحيد الدين قد بدأت في صيف ١٩٥٧ .

فاضلة ، سليلة السلاطين

تنتمي فاضلة التي ولدت في باريس عام ١٩٤٠ ، إلى عائلة عريقة من جهة أمها الأميرة (زهرة خانزاده) ، فهي كريمة عمر فاروق أفندي نجل السلطان العثماني عبدالمجيد الثاني ، وابنة الأميرة صبيحة ،كريمة آخر السلاطين العثمانيين وحيدالدين . وقد تزوجت الأميرة خانزاده من زوجها الأمير محمد علي إبراهيم في القاهرة عام ١٩٤٠ . وتوفيت في باريس عام ١٩٧٧ . وبذلك فان الأميرة فاضلة ، عثمانية من جهة أمها ،ومصرية من جهة الأب . اضطرت فاضلة إلى مغادرة تركيا مع عائلتها ، وهي ابنة أربعة أشهر، عقب صدور قرار من الحكومة التركية ، بنفي كل من ينتمي بصلة القرابة إلى عائلة السلطان العثماني .حيث عاشت متنقلة مع عائلتها في مدن عديدة مثل: نيس والقاهرة والإسكندرية قبل أن تعود مع عائلتها إلى تركيا عام ١٩٥٤ .

كانت فاضلة ، ذات جمال فاتن وأخاذ .وقد تعرفت على الملك فيصل في حزيران عام ١٩٥٤ في حفل أقيم في بغداد أثناء زيارة عائلتها للعاصمة العراقية. بعد سنة من هذا التعارف كان اللقاء الثاني بينهما في فرنسا ،حيث قررا الزواج. زار الملك فيصل استانبول في ١٩٥٧ والتقى مع فاضلة في جولة بحرية ،على متن يخت الأميرة خانزاده.وتكررت اللقاءات وتوثقت عرى العلاقات العاطفية بينهما ، فكان أن تم إعلان الخطوبة في ١٣ أيلول ١٩٥٧ بعد أن تقدم الملك رسميا للزواج منها.

بعد يومين من عودة الملك إلى بغداد ، أعلن رئيس ديوان التشريفات علي جودت نبأ الخطوبة . توجهت فاضلة بعد إعلان الخطوبة رسميا ، إلى فرنسا ومنها إلى لندن لتلقي دروس في مدرسة (فينشينك اسكول) استعدادا للزواج .

كان الملك يقوم أحيانا أثناء زيارته لاستانبول ، بزيارة خطيبته فاضلة ، ومنها كانا يقومان بزيارة بعض الدول الأوربية ، وكانت الصحف والمجلات تنشر صورا مختلفة للخطيبين السعيدين .

كما قامت الأميرة مع والديها بزيارة بغداد قبل الانقلاب بعدة أسابيع .وعادت منها إلى مدرستها في لندن .

وقع خبر مقتل الملك على خطيبته فاضلة كالصاعقة، بعد استماعها إلى نشرة أخبار الإذاعة البريطانية ، من جهاز الراديو الموضوع في صالة المدرسة . انهملت الدموع من عينيها الخضراوين ، وهرعت زميلاتها يواسينها تخفيفا للحادث المرعب ، التي ظلت تعاني منه فترة طويلة ، عاشت خلاله ذهولا تاما . .بعد سنوات من مقتل خطيبها الملك فيصل الثاني ، تزوجت الأميرة فاضلة من الدكتور خيري اوركوبلو نجل رئيس وزراء تركيا الأسبق سعاد اوركوبلو ، ورزقت منه بولدين : علي وسليم . رغم ذلك تم طلاقهما في ١٠ /١٢/ ١٩٦٥ .حيث بدأت بالعمل عام ١٩٨٠ في هيئة اليونسكو .

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم

نائب رئيس التحرير: عدنان حسين
مدير التحرير: علي حسين
هيئة التحرير: باسم عبد الحميد حمودي . رفعت عبد الرزاق
الاخراج الفني: نصير سليم التصحيح اللغوي: مروان عادل

طبعت بمطابع مؤسسة
للإعلام والثقافة والفنون